

البير كامو

LE MYTHE DE SESIFE

أسطورة سيريف

نقله إلى العربية
أنيس زكي حسن

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

*O mon âme n'aspire pas à la vie
immortelle, mais épuise le chemin
du possible.*

إلى : باسكال بيا - كامو

أه يا روجيه ، لا تطمحني إلى الحياة الخالدة ،
ولكن استنفدي حدود الممكن .

بشار - ٢ : انشيد أولاد

الصفحات التالية تعالج حساسية لا جديدة يراها المرء سائدة في العصر -
وليس فلسفة لا جديدة لم يمرقها زمننا بعد ، إذا أردنا الدقة . ولهذا
فنحن العدل ان نشير ، منذ البداية ، إلى ما قد ين به مسأله الصفحات
لبعض المفكرين المعاصرين . بل انني لا اقصد إلى اختفاء ذلك مطلقا ،
ولما سبراه القاريء مذكورا ، بالأسماء ، ومعلقا عليه في هذا الكتاب .

بيد انه من القيد ان نشير في الوقت نفسه إلى أن الالاجدوى ، التي
سأتناولها باعتبارها نقطة انطلاق . وبهذا المعنى يمكن القول بان هناك
شيئا من المؤقتية في تعليقاتي : ولا يستطيع المرء ان يتنبأ بالوقف الذي
تقود إليه . سيجد القاريء هنا وصفا فقط ، بالمعنى الخاص ، لمرض
فكري . وليس هناك شيء من الميتافيزيك او الاعتقاد بأمر مسا في
الوقت الحاضر . وهذه هي الحدود ، والاتراعات الوحيدة في الكتاب .
والمثل ان بعض التجارب الشخصية هي التي تجعلني أوضح هذا .

المقدمة

اسطورة سيزيف ، بالنسبة لي ، كانت بدايةً لفكرة رحلت التبعيها في كتاب - - الثاني - . انها تهدف الى حل مشكلة الانتحار ، كما يحاول - الثاني - ان يحل مشكلة القتل ، وفي الطائفتين ، بدون مساعدة القيم الدائمة التي هي ، ربما مؤقتا ، غير موجودة او مشوهة في اوروبا اليوم . ان الموضوع الاساسي في - اسطورة سيزيف - هو هذا : من المشروع والضروري المساؤل عما اذا كان للحياة معنى ، وهكذا لمن المشروع ان نواجه مشكلة الانتحار وجها لوجه . والجواب ، الذي يمكن في ، ويخرج عبر المتناقضات التي تغطيه ، هو هذا : حتى اذا لم يؤمن المرء بالله ، فان الانتحار غير مشروع . ان هذا الكتاب ، الذي ألفته قبل خمس عشرة سنة ، في عام ١٩٤٠ ، خلال الكوارث الفرنسية والاوربية بين انه ، حتى ضمن حدود العدمية ، من السهل إيجاد الوسيلة للمضي إلى ما وراء العدمية ، وقد حاولت في كل الكتب التي ألفتها منذ ذلك الحين أن اتببع هذا الاتجاه . وبالرغم من ان - اسطورة سيزيف - تتناول المشاكل الثمانية ، فان هذا الكتاب يلخص نفسه لي باعتباره دعوة سهلة الى العيش والخلق ، حتى وسط الصحراء .

ولهذا فقد كان من المظنون ان في الوسخ تليح هذا الرأي الفلسفي

بمسألة من المغالات من النوع الذي لم أكف عن كتابته ، تلك المغالات التي هي في بعض الأحيان تكرار لما جاء في كتيبي الأخرى . إنها كلها ، نوضح ، بشكل أكثر غنائية ، ذلك التردد الأساسي بين القبول والرفض الذي هو ، في رأيي ، يعرف الفنان ومهنته الصعبة . ان وحدة هذا الكتاب ، وارجو ان يكون ذلك واضحا للقراء كما هو واضح لي ، تكمن في التأمل ، البارد حيناً ، المتهيب حيناً آخر ، الذي قد يفرق فيه الفنان لبحث اسبابه في العيش والخلق . ويمد خمس عشرة سنة ، أجد نفسي قد مضيت قدماً من المواقف التي سجلتها هنا ، ولكنني ما أزال خلاصاً ، كما بلوح لي ، للدوافع التي جعلتني اتخذ تلك المواقف . وهذا هو السبب في ان هذا الكتاب ، هو بمعنى معين ، أشد الكتيب التي نشرتها ذاتية . وهذا أيضاً يجعل من الضروري ان يسهبه القسراء تساوهم وتفههم .

البير كاهو

باريس ، آذار ١٩٥٥

التنبيه اللطيف

الاجدوى والانتصار

هناك مشكلة فلسفية هامة وجيدة ، هي الانتصار . فاطمكم بارت الحياة تستحق ان تماتش ، يسمو الى منزلة الجواب على السؤال الاساسي في الفلسفة . وكل المسائل الباقية - هل ان للعالم ثلاثة أبعاد أم لا ، هل ان للذهن قسمة أصناف أم التي عشر صنفًا - تأتي بعد ذلك . فهذه هي لعب ، وعلى المرء أن يحيب أو لا . وإذا كان صحيحًا ، كما يدعي نيتشه ، ان الفيلسوف ، لكي يستحق احترامنا ، يجب عليه ان يعلم بواسطة الأمثال ، فانت تستطيع ان تقدر أهمية ذلك الجواب ، لانه يسبق عملية التعريف . تلك هي حقائق يمكن للقلب ان يحس بها ومع ذلك فانها تتطلب البحث الروي " قبل ان تصبح واضحة للذهن .

انني لأسأل نفسي ، كيف استطيع ان احكم بأن هذه المسألة هي

أهم من تلك ، واجيب بأن المرء يحكم بواسطة القماليات التي تستبهمها المسألة . ولم أرَ أعماءاً مات من أجل التفكير في الكثيرة ، فتاليو ، الذي عرف حقيقة علمية ذات أهمية عظيمة ، تخلى عنها بكل سهولة في اللحظة التي هدأت فيها حياته ، ويمنى من المعاني نجد أنه حسنا فعل ^(١) فلم تكن تلك الحقيقة تستحق المشتقة ، فكون الأرض تدور حول الشمس أو الشمس تدور حول الأرض هو من الأمور التي تصنف بأعمق اللا اكوارث . وإنها لمسألة لا جدرى فيها أن يقول المرء الحقيقة . ومن الناحية الأخرى ، فإني أجد الكثيرين يقولون لأنهم يقررون أن الحياة لا تستحق أن تماشى . وأجد آخرين يذهبون ضحية القتل ، بصورة متناقضة ، لأنهم يفعلون ذلك بسبب الأفكار أو الأوهام التي تهمهم سبباً يعيشون من أجله . (فما هو سبب ممتاز للعيش ، هو أيضاً سبب ممتاز للوث) . ولهذا فإني استنتج أن معنى الحياة هو أنه المسائل المحاسا فكيف نجيب عن تلك المسألة ؟ هنالك طريقتان في التفكير بكسل المسائل الجوهرية (وأعني بذلك تلك المسائل التي يكمن فيها خطر الموت أو المسائل التي تركز الرغبة في الحياة) : طريقة لا باليس وطريقة دون كيشوت . فالتروازن بين الدليل وبين القنائية هو وحده الذي يتيح لنا أن نحقق ، في وقت واحد ، المتواضع ، ومثقل بالمعاطفة ، الموضوع الذي هو في وقت واحد معاً ، متواضع ، ومثقل بالمعاطفة ، يستطيع المرء أن يقول أن الديباككتيك الذي يتمثل في المعرفة وفي الكلاسيكية يجب أن يفسح مجالاً لموقف أكثر تواضعاً ، موقف فكري

(١) من وجهة النظر القائلة بالقيمة النسبية للحقيقة. رن الناحية الأخرى ، من وجهة النظر القائلة بمسلك القوة والرجولة ، نجد أن موقف غاليلو يجعلنا نقسم ، لضعفه .

مستمد في وقت واحد من الإدراك الملمس والتفهم .

لم يتم بحث الانتحار الا باعتباره ظاهرة اجتماعية . ولكننا هنا ،
بعكس ذلك ، معنيون منذ البداية بالملاقة بين التفكير الفردي وبين
الانتحار . فمثل هذا العمل يجري اعداده ضمن صمت القلب ، كالعمل
القي العظيم . بل ان الانسان نفسه يحمله . وفي إحدى الأمسيات ،
يضغط على الزناد ، أو يقفز . وقد علمت عن مشرف على بناء المهارات
كان قد انتحر ، لأنه فقد ابتنه قبل خمس سنوات ، وأنه كان قد تغير
كثيراً منذ ذلك الحين ، وان تلك التجربة كانت قد دهمته ، ولا
يمكننا ان نتصور كلمة أدق من هذه . فالبدء بالتفكير هو البدء بالتهديم
وليس للبحث الا صلات قلبية بتلك البدايات . الدودة هي في قلب
الانسان ، وعليها ان تنقش عنها هناك . وعلى المرء ان يتتبع ويتقهم تلك
اللمبة القاذرة التي تعود من الرضوح في وجه الوجود الى القرار من الضياء .

هناك أسباب كثيرة للانتحار ، وبصورة عامة نجد ان اوضح هذه
الاسباب ليس أقواها . فنادراً ما يتم ارتكاب الانتحار بعد تأمل (ومع
ذلك فلا يمكننا ان نسقي هذه الفرضية .) وليس في الرشح ، غالباً
التحقق ما يبعد الكارثة . المصحف كثيراً ما تتحدث عن — التمازي
الشخصية — أو عن — المرء الذي لا يرجو شفاؤه — . وهذه تفسيرات
مقبولة ، ولكن على المرء ان يعرف ما اذا لم يكن صدق ذلك الشخص
البائس قد خاطبه في ذلك النهار نفسه بلا اكوارث هو المذنب . لان
ذلك يكفي للتجهيل بكل الاحتاد ، والسأم ، التي ما تزال معلقة . (١)

(١) دعنا لا نضيع هذه الفرصة لنشير الى الصفة الأساسية لهذا البحث . فالانتحار يمكن ان
يعزى لاسباب مشرقة أشد كالانتحار الاحتجاج السياسي ، كما كنا نسمونه ، اثناء الثورة الصينية ،

يبد انه اذا صمب تعيين اللحظة المضبوطة ، الخطوة الدقيقة حين يكون الذهن قد اختار الموت ، فمن السهل استنتاج النتائج التي يشتمل عليها الفعل ، من الفعل نفسه . فبمبنى من المعاني ، وكما هو الامر في روايات الرعب ، يرقى قَتْلُكَ لنفسك الى منزلة الاعتراف . انه الاعتراف بان الحياة كثيرة عليك ، او بانك لا تفهمها . دعنا لا نذهب بعيداً في سرد هذه الاستنتاجات ، ونعتمد الى كلمات الحياة اليومية . ان ذلك هو مجرد اعتراف بان - ذلك لا يستحق المناء - ، فالعيش بالطبيع ، ليس سهلاً . فانت تستمر على إداة الحركة التي يأمر بها الوجود لاسباب عديدة ، اولها العادة ، والموت طوعاً يتقنن انك قد ادركت ، حتى غريباً ، صفة تلك المادة المضحكة ، وعدم وجود اي سبب عميق للعيش ، الصفة اللاحقة لذلك المآب اليومي ، ولا جدوى العذاب .

فما هو ، اذن ، ذلك الشعور الذي لا يوصف ، والذي يحرم الذهن من النوم الضروري للعيش ؟ ان المسالم الذي يمكن تفسيره حتى ولو بالاسباب الدينية هو عالم مالوف . ولكن ، من الناحية الأخرى ، لا نجد ان الانسان يحس بالغربة في كون يتجرد فجأة من الالهام والفروض ، وفيه هذا هو بلا علاج ما دام قد حرم من ذكريات وطن مضيق ، او من أمل ارض موعودة . وهذا الطلاق بين الانسان وحساقته ، المثل ومشهده ، هو بالضيظ الشعور بالاجدوى . ولما كان كل الناس الاصحاء قد فكروا في انتحارهم ، فممكنا ان نرى ، بدون ابضاح آخر ، ان هناك صلة مباشرة بين هذا الشعور بالاجدوى وبين الجنين الى الموت .

وموضوع هذا الكتاب هو بالضبط هذه العلاقة بين اللاجندري والانتصار والدرجة الدقيقة التي يكون بها الانتصار حلاً للاجندري . ويمكن الاخذ بالبدأ القائل بأن الانسان الذي لا يخاف ولا يخدع ، يعتمد على ما يظنه صحيحاً في تقرير فعاليته . ولهذا فان الاعتماد بلا جندري الوجود يجب ان يقرر موقفه . ومن المشروع التساؤل ، بوضوح وبدون أي شبح زائف ، عما اذا كان استلزام هذه الاهمية يتطلب التخلي بالسرعة الممكنة عن الطرف الذي يمكن ادراكه . انني أتحدث ، بالطبع ، عن الناس الذين يبدون إلى الاتفاق مع أنفسهم .

Problems

فإذا اوضحنا هذه المشكلة ، فإنها قد تلوح بسيطة ، وغير قابلة للحل . ولكن قد افترض خطأ ان الاسئلة البسيطة تفني اجوبة لا تقل عنها بساطة ، وان الدليل يشتمل على الدليل . فنفترئاً ، وبعبارة وجه المسألة ، تماماً كما ينتعر البرء او لا ينتعر ، يلوح ان هناك حلين فلسفيين فقط ، فاما نعم ، او لا . وهذا سيكون امراً سهلاً جداً . ولكننا يجب ان نقسح مجالاً لاولئك الذين ، ببدون ان يستنجوا ، يستمرون على التساؤل . وهنا أجد نفسي أبدأ إلى الاشارة الساخرة قليلاً : هؤلاء هم الاعلية . وانني لألاحظ ايضاً ان اولئك الذين يكون جوابهم - لا - يتصرفون وكأنهم يقولون - نعم - . ولاحظ انني ، اذا قبلت مقياس نيوتن ، أستطيع أن أقول انهم يفكرون - نعم - بهذه الطريقة او بتلك . ومن الناحية الاخرى ، فغالبا ما يحدث ان اولئك الذين ارتكبوا الانتحار كانوا واثقين من معنى الحياة . وهذه للتناقضات ثابتة . ومن الممكن ايضاً القول بأنهم لم يشعروا قط كلماتهم بهذه النقطة التي يكون المنطق فيها ، بالمعكس ، مرغوباً . انه لمن الاشياء العادية

ان تعارض النظريات الفالسية بتصرفات 'اولئك الذين يشيرون بتلك النظريات' ، ولكننا يجب ان نذكر اننا لا نجد بين 'الفكرين الذين لم يروا في الحياة اي معنى، مفكراً واحداً' ، عدا كيريلوف^(١١) في عالم الادب وبيير فيرنوس المولد من الاسطورة^(١٢) ، وجول ليكرونيه في عالم الافتراض ، آخر منطقة الى حد رفض تلك الحياة . وكثيراً ما يذكر اسم شوبنهاور لاثارة السخرية ، لانه امتنع الانتصار بينما كان يجلس الى مائدة بديمة . ولكن هذا ليس من الواضـيح التي تحتل السخرية . وان هذه الطريقة في عدم بذل الاهتمام في بحث المسألة قد لا يجوز الى هذا الحد ، ولكنها تقرر حكماً على انسان .

كـوى هل ان علينا ، بواجبة مثل هذه التناقضات والمفوض ، ان نستنتج انه ليست هنالك علاقة بين الرأي الذي تحمله 'الروء عن الحياة والعمل الذي يرتكبه الروء لتأديتها ؟ دعنا لا نبالغ في هذا الجسـال . فهنالك في تعلق الانسان بالحياة شيء اقوى من كل ضرور العالم . وحكم الجسم هو بقوة حكم العقل ، والجسم ينكمش من الإبادة . ونحن نتعود على العيش قبل ان نحصل على عادة التفكير . وفي هذا السباق الذي يقربنا يوماً من الموت نكون للجسد اسبقته التي لا يمكن ان يتألفها الاصلاح . وباختصار ، فان جوهر ذلك التناقض يكمن فيما سابعه فمل

(١) كيريلوف — بطل درستوفسكي الذي يريد ان يلتحق فـيدلج نفسه تحت تصرف جماعة ثورية تستبدل في احوال الاغتـال — المـرجـم .

(٢) لقد سمعت بوجود عقل لبيروفيـرنوس ، وهو من كتاب ما بعد الحرب ، انتصر حاله انـهى كتابه الاول . لكي يجتنب الانتباه الى كتابه . وقد ظفر بذلك حقاً ، ولكن الكتاب اعتبر سيئاً .

التضليل ، لأنه ، في نفس الوقت ، أقل وأكثر من التحول بالأمى الباسكال والتضليل هو اللعبة التي لا تتغير . وفعل التضليل النموذجي ، التخلص القتال الذي يؤلف الفكرة الثالثة في هذا الكتاب ، هو الأمل ، الأمل في حياة أخرى ، يجب أن تكون من — استحقاق — المرء ، أو خدعة أولئك الذين يعيشون ، لا للصحة نفسها ، وإنما للفكرة ما ، عظيمة ، ستفوق الحياة ، تنقيها ، تعطيها معنى ، وتضعها .

وهكذا يؤدي كل شيء الى نشر الارتباك . فحق الآن ، ولم يكن ذلك بالجهد الضائع تلاعب الناس بالكلمات وتظاهروا بأن انكار المبنى على الحياة يؤدي بالضرورة الى اعلان انها لا تستحق ان تعيش . والحق انه ليس هنالك مقياس ضروري عام بين هذين الرأيين . وعلى المرء فقط أن يرفض الانخداع بالارتباكات ، والانفصالات ، والأمور غير المنسجمة التي أشرت اليها (على المرء ان ينهي كل شيء جانباً ويتجه مباشرة الى المشكلة الحقيقية . ان المرء ينتحر لأن الحياة لا تستحق ان تعيش ، وتلك هي حقيقة أكيدة — ولكنها غير مشرة لأنها حقيقة حسادية .) ولكن هل تصدر امانة الوجود تلك — ذلك الانكار التام الذي تفرق فيه الحياة — من انها بلا معنى ؟ وهل ان لا جدوى الوجود تتطلب من المرء ان يفر منه عبر الأمل او الانتحار — هذا هو ما يجب توضيحه وتبعه وتبسيطه في الوقت الذي يتم فيه استبعاد الأمور الأخرى ، بصورة خارجية عن كل طرق التفكير وممارسات الذهن 'خطر' وليس هناك مكان في هذا البحث وهذا الانفصال اطلاق المعنى والمتناقضات وسايكلوجية الذهن الموضوعي التي يستطيع ادخالها على كل المشاكل . ان هذه المشكلة ، ببساطة ، تستدعي التفكير الاعادل — بمباراة أخرى ،

التفكير المنطقي . وهذا ليس سهلاً . (إن السهل دائماً ان يكون المرء منطقياً) ولكن من الصعب تقريباً ان يكون المرء منطقياً حق النسيابة المرء . ان 'ولئك الذين يتوتون بأيديهم' يتبعون ، بالنتيجة ، ميولهم الماطفية 'لى نهاياتها . والتأمل في الانتصار يعطيني الفرصة لاثارة المشكلة الوحيدة التي تهمني : هل هنالك منطق عند مرحلة الموت ؟ لست استطيع ان اعرف ما لم أتتبع ، بدون أية انفعالات حقاه وعلى ضوء الدليل فقط ، التمثل الذي اقترح مصادره هنا . هذا هو ما اصبه التمثل الالاجدي . ولقد بدأ مثل هذا التحليل الكثيرون . ولست أعرف الا ان ما إذا كانوا قد التزموا به أم لا .

حين يستغرب كلارك ياسبرز ، موحياً باستحالة تشكيل العالم كوحدة ، قائلاً : ان هذه الحدود تقودني الى نفسي ، حيث لا استطيع بعد أن انسحب ورء وجهه نظر موضوعية امثلها وحسب ، وحيث لا أستطيع (انا نفسي) ولا وجود الآخرين ، ان يصبح موضوعاً بالنسبة لي ، فانه يثير ، بعد ان فعل ذلك الكثيرون مسألة تلك الصحاري الخالية من الماء ، حيث يصل الفكر الى حدوده . فمثل ذلك 'الكثيرون حقاً ، ولكن الى اية درجة كانوا متجهين الى الخروج من تلك الحدود : ففي مغرق الطرق ذاك ، حيث يتردد الفكر ، كان قد وصل الكثيرون ، الكثيرون حق من الماديين . وحينئذ تحاربوا عن أعز الاشياء بالنسبة اليهم ، حياتهم - وتحلى آخرون ، من أمراء الفكر ، عن مثل ذلك ، ولكنهم بدأوا انتصار أفكارهم في أشد فوراتها نقاء . الجهود الحقيقي هو في البقاء هنالك ، بقدر ما يكون ذلك ممكناً ، وتخصص الحياة 'الراكدة في تلك المناطق البعيدة . ان الامرار وحدة الادراك يستطمان انت

يرقبا هذا العرض البشري الذي تتحدث فيه الالاجدري والامل والموت .
ويستطيع الذهن عندئذ ان يحلل أشكال تلك الرقصات البهائية ، مسح
براعتها ، قبل ان يوضعها ويعيشها بنفسه .

الاسوار الالاجدية :

المشاعر العميقة ، كالاعمال المنظمة ، تنهي دائما اكثر ما تدرك قوله .
والانتظام في دافع او تفور نفس يحسابه ثابته في عادات الفعالية او
التفكير ، ويماد توليده في نتائج لا تعرف النفس شيئا عنها . والمشاعر
المنظمة تأخذ معها كونها ، رائنا او تمسا . انها تفويه باستخدامها عالما
استثنائيا تستطيع فيه ان تدرك جوها . ومثلالك كون من الغيرة ،
والطموح والالانية أو الكورم . كون - بمبارة اخرى ، ميثاقيزيكيا ،
وموقف ذهني . وما ينطبق على المشاعر التي خصصناها الاكث ينطبق
اكث على الانفعالات التي هي اساسا في مثل اللاحسودية ، وفي الوقت
نفسه في غموض وفي - وضوح - ، وفي بعد و - حضور - تلك التي
تثيرها الالاجدري او يثيرها الجسال . (وفي اية زاوية من زوايا الشارع
يكن للاجدري ان تصفع اي انسان على وجهه . وهي ، في صرخة
' اقلن ' ، وفي ضوئها بدون بريق ، مضللة) ولكن تلك العمودية نفسها
نستحق التأمل . ولعله من الصحيح ان الانسان يظل غير معروف ابدا
بالنسبة لنا ، وان فيه شيئا يقيب عن ادراكنا ، شيئا لا يمكن تقلبيته
لنفسه . ولكنني عمليا اعرف الناس واميزهم بسلوكهم ، بجموع افعالهم ،
بالنتائج التي يتركها وجودهم في الحياة . وكذلك هي كل تلك المشاعر
الاعاقة التي لا تفسح مجالاً للتحليل . انني استطيع ان اعرفها عمليا ،

بأن اجمع مما مجموع نتائجها في مجال الادراك ، بأن اقبض عليها ، ولاحظ
 كل مظاهرها ، وبأن أضغ خطوط كونها . لا شك في انه من الواضح
 انني بالرغم من رؤيتي للمثل نفسه مائة مرة ، لا استطيع ان اعرفه
 شخصياً بصورة افضل لذلك السبب . الا انني اذا جمعت الابطال الذين
 مثلهم ، واذ اقلت انني اعرفه افضل عند الشخصية الماثلة ، فان ذلك
 سيدخل الشئور باعتباره محتوى على حقيقة ، على شيء من الحقيقة .
 لانت هذا التعارض الواضح هو ايضا امثلة . انه يعط شيء ، وهذا
 الشيء هو ان الانسان يعرف نفسه بالتخداة ، تماماً كما يفعل ذلك ايضا
 بجوافزه الخلة . هناك اذن مفتاح أو ط للمشاعر ، لا يمكن الوصول
 اليه في القلب ، ولكنه يتضح جزئياً عبر الافعال التي قمينا المشاعر
 والواقف الذهنية التي تأخذها . ويتضح انني بهذه الطريقة اقوم بتعريف
 طريقة . ولكن من الواضح ايضا ان تلك الطريقة هي من التحليل
 وليست من المعرفة . لان الطرق تتضمن الميتافيزيكيات ، وهي تكشف
 بصورة غير مدركة استنتاجات غالباً ما تدعي بأنها لم تعرفها بعد .
 وهكذا فان الصفحات الأخيرة من كتاب ها ، موجودة مقدماً في
 الصفحات الأولى . ومثل هذه الصاة حسنة . والطريقة المرفقة هنا تدبر
 للشئور القتال بان المعرفة الحقيقية مستحيلة . وإنما يمكن تعداد المظاهر ،
 فيدخل الجو في الشئور .

ربما سيكون في وسعنا ان نقبض على ذلك الشئور المثل بالاجدوي
 في المواقف المختلفة ، والتصلة اتصالاً وثيقاً ، والمحصاة بالادراك ، بفن
 العيش ، او بالفن نفسه . وجو الاجدوي هو في البداية ، والنهاية هي
 الكونت الاجدي وذلك الموقف الذهني الذي يميز العالم بالرائة الحقيقية

لاظهار 'الظهر' المتميز 'الثابت' الذي عرّفه ذلك الموقف في تلك النهاية .

ن لكل الافعال العظيمة والافكار العظيمة بدايات مضحكة . وغالباً ما قولنا الأفعال العظيمة في زاوية الشارع أو في الابواب الدوارة في مطعم وكذلك هو الأمر مع اللاجندوى . والعالم اللاجندوي يأخذ نبله ، أكثر من العوالم الأخرى ، من ذلك 'لوله' اللاجندوي . وفي ظروف معينة ، قد يكون الجواب - بلا غش - حين يسأل الإنسان عما يفكر فيه ، ادعاء . أو أولئك الذين يتمتعون بالحب يعرفون ذلك جيداً . ولكن إذا كان الجواب صادقاً ، إذا كان يرمز إلى تلك الرضمية الغريبة في النفس حين يصبح الخواء بليماً ، حين تتحطم سلسلة المحركات اليومية ، حين يفقد القلب حباً عن الرابطة التي ربطه ثانية ، فإن ذلك يشبه العلامة الأولى من علامات اللاجندوى .

فيحدث ان مشاهد المسرح تتبدلهم . النهرض ، الباص ، أربع ساعات في الدائرة أو المصنع ، وجبة الطعام ، الباص ، أربع ساعات من العمل ، وجبة الطعام ، النوم ، الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة ، السبت ، طبقاً للنسق نفسه - من الممكن السير في هذه الطريق بسهولة دائماً . ولكن في يوم من 'الأيام نشأ - لماذا - وبدأ كل شيء من ذلك الضجير' بالأصطباغ بالدمسة . وبدأ ، هذا هو المهم . فالضجير يأتي في نهاية أفعال الحياة الميكانيكية ، ولكنه في الوقت نفسه يفتح حافز 'لادراك' ويشير ما يتبع ذلك . وما يتبع ذلك هو المودة التدرجية إلى السلطة أو ان يكون ذلك البقطة 'لمرقة' . ويأتي بعد البقطة ، في الوقت المناسب ، يفتح من ذلك : الانتصار ، أو الشفاء

والفجر يحتوي في نفسه على شيء يمت على النيان . وهنا يجب علي ان اقرر ان ذلك امر طيب . لان كل شيء يبدأ عبر الادراك ، ولا شيء يستحق اي اهتمام الا عبر الادراك . وليس هنالك شيء من الامثلة في ملاحظاتي هذه ، ولكنها واضحة ، وهذا يكفي الان ، إنها كشف تخاطبي لاصول الالاجدوى . فارت مجرد 'الخلق' - موجود في قلب كل شيء .

وهكذا ، وخلال كل يوم من أيام الحياة المادية ، يجعلنا الزمن . ولكن ثاني لحظة يكون علينا نحن ان نحمل الزمن فيها . اننا نعيش على المستقبل : - غذا - ، - بعد ذلك ، حين تكون قد بدأت - ، - ستفهم حين تكبر - . مثل هذه الامور رائمة ، لاننا على كل حال ، نجد ان المسألة هي مسألة موت . ولكن يأتي يوم يلاحظ فيه الانسان أو يقول أنه في الثلاثين . وهكذا فهو بين كونه شاباً ، ولكنه في الوقت نفسه بين نفسه بعلاقتها بالزمن . انه يأخذ مكانه فيه . وهو يقر بأنه يقف في نقطة معينة في قوس يعترف بان عليه ان يستمر فيه الى نهايته . انه يخصص الزمن ، وبالرعب الذي يقبض عليه ، يدرك اسوأ أعدائه ، غذا ، انه نحن الى القدر ، بينما كان عليه ان يرفضه .^(١) وثورة الجسد هذه هي الالاجدوى .

خطوة أخرى ، ثم تزحف الترابية : في رؤية ان العالم - كئيف -

(١) ولكن ليس بالمشي الدقيق . فليس هذا تريباً ، وانما هو تعداد للمشاعر التي تفسح مجالاً للاجدوى . ومع ذلك فمن نتيجته من هذا الاحصاء ، نجد ان الالاجدوى لم تنته .

وفي تقدير درجة غربة وبعد حجبر ما عنا ، والتركيز التي تلقينا به
الطبيعة أو المنظر . وفي قلب كل جمال ، يكمن شيء لا بشري ، وهذه
السلامة ، ونعمة السماء ، وخط تلك الاشجار في هذه اللحظة بالذات
تقد كلها المعنى المائل الذي كنا نلبسها اياه ، وتصبح أشد بعداً عنا
من الفردوس المفقود . وبواجهتنا عداء العالم عبر آلاف السنين ، ونكف
خطوة عن فهم ذلك لاننا لم نعرف فيه عين الفرون غير الصور والاشكال التي
كنا نفرضها اليه من قبل ، ولاننا منذ ذلك الحين فقدنا القوة على الافادة
من تلك الرسيطة . وهكذا يفضلنا العالم لاننا يصبح هو نفسه ثانية .
وتصبح ذلك المتاهد المسرحية (المنظمة بقتاع العادة مرة اخرى هي نفسها ،
ويتماد ذلك عنا تماماً كما يحدث ان ثاني ايام نرى فيها خلف الوجسه
الالوف للرأه التي اجبتناها شورا أو أعراما طوبية شيئاً غريباً ، ثم قد
نستحي فيجأة ما يتركنا وحسين هكذا . ولكن الوقت لم يكن بعد .
وهناك شيء واحد فقط : تلك الكثرة والثرابة في العالم هي اللاجدوى .

والتي ايضا يحتفظون في انفسهم بالاشرية . ففي لحظات معينة من
الوضوح والظهر الميكانيكي لحركاتهم ، تجعل تلك الحركات الحرساء السخيفة
التي لا معنى لها كل شيء يحيط بهم يتصف بتلك السخافة . رجل
يتحدث في التلفون وراء حاجز زجاجي . انت لا تستطيع ان تسمعه ،
ولكنك ترى منظره الصامت غير المهيوم : وتساؤل : لماذا هو حي ؟
فهذا وهذا - الغنيان . - كما يسميه احد الكتاب اليوم ^(١) ، هو أيضا
اللاجدوى . وكذلك فان الغريب الذي يأتي احياناً لمواجهتنا في المرات ،

(١) يقصد جان بول سارتر المترجم .

الشيئ المألوف ، ومع ذلك ، المفزع ، الذي نراه في صورها القوتوقرافية
هو أيضاً اللاجدوى .

آني أخيراً على الموت ، والموقف الذي نفقه منه . وقد قيل كل
شيء بهذا الصدد ، ومن المناسب فقط ان نتجنب الشجن . ومع ذلك
قلن يندهش المرء جداً من ان الجميع يعيشون وكأن احداً منهم لم
- يعرف - شيئاً عن الموت . وهذا هو لانه ليس هنالك في الواقع
تجربة للموت . واذا اردنا الدقة فلا شيء هنالك قد تمت تجربته ، وانما
هنالك ما عشناه وجعلناه مدركا . وهنا لا يمكن التحدث عن تجربة
موت الآخرين . انه بديل وهم وهو لا يقمنا مطلقاً . ذلك الاعتقاد
الكثيب لا يمكن ان يكون مقنناً . والرعب يصدر في الحقيقة من
المظهر الحسابي للحادثة . واذا أربعنا الزمن فذلك لانه يصنع المشكلة
ويأتي الحل بعد ذلك . وسيتم اثبات ما هو عكس كل المطلب الجلية
عن الروح ، بصورة مقننة ، على الاقل لفترة . لقد اختفت الروح من
هذا الجسد الراكد الذي لا تترك فيه 'لصعة' أرواً . وهذا المظهر البدائي
التعريفى المغامرة يؤلف الشعور اللاجدي . وفي ضوء ذلك المير اللعائل
تتضح لا جدوى ذلك الشعور . وليس هنالك عرف خلقي أو مجرود
يمكن تديره نظرياً أمام الحسابات القياسية التي تقرر ظروفنا .

دعني اكرر : لقد قيل كل هذا . وأنا هنا أحصر بجني بأجسراه
تصنيف سريع وبالإشارة الى هذه الأفكار الواضحة . انها تتلا كل الآداب
والمسافات ، ويعتمد الحديث اليومي أفكار منها ، ولا حاجة هنالك
لاعادة اختراعها . ولكن من الضروري التاكيد من هذه الحقائق لكي

يكون في رسمنا ان نوجه الاسئلة لانفسنا بمسئد ذلك بشأن المسألة الموجودة منذ البداية ، انني لست مهتماً - دعني اكرر مرة اخرى - بالاكتشافات اللاعجدية كاهنامي بنتائجها . فاذا تأكد المرء من هذه الحقائق ، فلماذا يستنتج ؟ والى أي مدى يستطيع التخلص من اللاثني؟ وهل يموت المرء طوعاً ، أو بأمل ، بالرغم من كل شيء ؟ قبل كل شيء ، من الضروري ان نضع تلك القائمة السريسة ذاتها على مستوى الادراك .

* * *

ان خطوة الذهن 'لاولى هي تمييز الصحيح من الزائف . وعلى كل حال ، فحالا يتأمل الفكر في نفسه فانه يكتشف التناقض اولا . ولا جدوى في محاولة الاقتناع في هذه المسألة . فلم يعط احد عبر القرون تعبيراً اوضح وابدع للمسألة من تعبير أرسطو ؛ - ان النتيجة المسخفة دائماً ، التي تنتج من هذه الآراء ، هي انها تدمر نفسها بنفسها . لان بيان ان كل شيء هو حقيقي هو بيان حقيقية البيان الماكس ، وبالتالي زيف 'فقرائنا نحن (لان البيان الماكس لا يقر بأنه يمكن ان يكون صحيحاً) . واذا قال احد ان كل شيء هو زائف فان ذلك البيان نفسه زائف . اذا أعلننا ان البيان الماكس لبياننا هو الوحيد الزائف او ان بياننا نحن هو الوحيد غير الزائف ، فإنا مع ذلك مضطرون الى الاقرار بمدد لا نهاية له من الاحكام الحقيقية او الزائفة . لان من يعتبر عن بيان حقيقي يملن في الوقت نفسه انه صحيح ، وممكننا الى مسأ لا نهاية . . .

ان هذه الحلقة الشريرة ليست الا الاولى في سلسلة يحيد الذهن الذي

يلدرس نفسه انه يضييع فيها وسط دوامة مدروسة . فبساطة هذه التناقضات تجعلها غير قابلة للتقليص . ومهما يكن اللبب بالكلمات ، ويهاولنايات النطق ، فان فهم هذا ، هو قبل كل شيء آخر ، توحده . واعنى رضبات الذهن ، حتى في أبسط عملياته ، توازي شعور الانسان ، ذلك الشعور غير المدرك ، امام كونه ؛ انها الاصرار على المسالوف ، والشهوة الى الرضوح . وفهم العالم هو بالنسبة للانسان تقليصه الى البشري ، وختمه بختمه . وكون القطعة هو ليس كون النمل . وليس هنالك معنى للحقيقة القاذبة بأن الفكر كله مقحول حسب الاجناس . وكذلك فان الذهن الذي يهدف الى فهم الواقع يستطيع ان يعتبر نفسه قائما فقط بتقليصه الى مصطلحات الفكر . واذا ادرك الانسان ان العيون مثله يستطيع ان يحب ويتعذب فانه سيرضى . واذا اكتشف الفكر في التفاعلات مرآة الظواهر الباهتة علاقات ابدية قادرة على تلخيص تلك الظواهر وتلخيص ذاتها في مبدأ واحد ، فسنبجد غبطة عقلية لن نكون الى جانبها اسطورة المباركين الا تقليداً مضحكاً . فذلك الحنين الى الوحدة وتلك الشهوة الى المطلق يرضحان الحافز الاساسي في الدراما البشرية . ولكن حقيقة وجود ذلك الحنين لا تعني انه سيتم ارضاءه في الحال . لأننا اذا بيننا مع بارمينيدس حقيقة الواحد (مها كان هذا الواحد) ، مالتين الثمرة التي تفصل بين الرغبة والغلبة ، فاننا ستقم في التناقض المضحك ، تناقض عقل يبين الوحدة التامة ويثبت ببيانه نفسه اختلافاً فيه هو ، وكذلك التنوع الذي ادعى حله . هذه الحلقة الشريرة الأخرى تكفي لحلق آمالنا .

هذه هي حقائق عادية ايضاً . وسأكرر مرة أخرى انها لا تآم بحد

ذاتها ، وإنما بالنتائج التي يمكن استنتاجها منها . وأنا اعرف حقيقة عادية
 اخرى ، وهي تجريبي بأن الإنسان قانٍ . ولكن المرء يستطيع مع ذلك
 ان يحمي العقول التي خرجت بالاستنتاجات المتطرفة منها . ومن الضروري
 اعتبار الحلقة المقفودة دائما بينها تتصور اننا نعرفه اربين ما نعرفه ك .
 بالفعل أ بين القبول العملي والجهل المدعى به والذي يسمح لنا بان نعيش
 مع الافكار التي ، اذا رضعناها موضع الاختبار حقا فانها يجب ان تقلق
 حياتنا كلها ، من الضروري اعتبار تلك الحلقة المقفودة المسألة الدقة التي
 يشير اليها هذا البحث . فمواجبة هذا التناقض الذهني الذي يمكن حله
 سندرك بصورة كاملة تلك الميزة التي تفصلنا عما نخلفه . وما دام الذهن
 صامتا في عالم آماله 'اؤكد' ، فان كل شيء يجري تأمله وتنظيمه في
 وحدة حينه . ولكن بجركته الاولى ، يتساوى هذا العالم ويتبهم :
 ويظهر أمام الفهم عدد لا نهاية له من الشطابا البراقة . يجب علينا اليأس
 من امكانية اعادة بناء السطح المألوف الهاديء الذي يمكن ان يينا راحة
 القلب . فبعد كل هذه القرون من التساؤل ، وكل هذه الامثلة على ما
 قام به المفكرون من تنازل عن الحياة ، ندرك جيدا ان هذا ينطبق
 على كل معرفتنا . فباستثناء الملائين المحترفين ، صار الناس اليوم يأسون
 من 'المعرفة الحقيقية' . ولو كان 'السجل الوحيد' ذو المغزى ، للفكر ،
 البشري ، سيكتب ، فانه يجب ان يكون تاريخ اسفه المتعاقب ولا
 قدرته .

عتني ، ومحاذا يا ترى ، أستطيع ان اقول حقا : — أعرفه ! —
 انني أستطيع ان اشعر بهذا القلب بيني ، وأستطيع أن احكم بأنه موجوده
 أستطيع ان افس هذا العالم واحكم كذلك بأنه موجود . وهنا تنتهي كل

المعرفة ، وما يتبقى هو تركيب . لانني اذا حاولت ان اقبض على هذه النفس التي اشعر بانني متأكد منها ، واذ حاولت ان اعرفها وانفهمها ، فانها ليست غير 'باء' الذي ينسلب من بين اصابعي . استطيع ان احص كل المظاهر التي تستطيع ان تأخذها واحداً واحداً ، وكل المظاهر التي تتميز اليها ، هذه النشأة ، وذلك الاصل ، تلك الجاسمة (وذلك العنست) ذلك النبل وتلك المقاركة . ولكننا لا نستطيع ان نجيع المظاهر ، وذلك القلب الذي هو قلبي ، سظل أبدأ غير معروف بالنسبة لي . وبين اليقين الذي أراه في وجودي والحدوث الذي اريد 'ن' عطيه لليقين ، ثمرة لن غلا فقط (وساظل أبداً غريباً عن نفسي . وهناك في علم النفس ، كما في المنطق ، حقائق ، ولكن ليست هنالك حقيقة . اما قول سقراط - اعرف نفسك - فهو في مثل قيمة قول ارشك الذين معترف لهم اليوم : - كن فاضلاً . انها ينكشفان عن جنبين ، كما ينكشفان عن الجهل . انها يثلاثان معالجتين عقيتين للمسائل الطبيعية . وهما اصيلاان فقط بالدرجة التي هما بها تقريران .

وهنا أشجار ، وأنا أعرف سطوحها المتشابكة ، ويطور الشيب ، والنجوم في الليل ، في امسيات مميتة حين يسارع القلب - كيف استطيع ان أنقي هذا العالم الذي اشعر بطاقته وقوته ؟ ومع ذلك فان كل المعرفة المتوفرة في الارض لن تعطيني شيئاً يؤكد لي ان هذا العالم هو ملكي انا . انت نصفه لي ، ، وتعلمني كيف اصنعه . وانت تحيي قوانينه ، وأنا ، في الظلمة الى المعرفة ، أقر بانها حقيقة . وانت تتناول كيفية سيره على حدة ، فيزداد أمل . وفي المرحلة الأخيرة تعلمني ان هذا الكون المجيب الملوذ يختلف الاوران يمكن ان يقلص الى

ذرة ، وان لذرة نفسها يمكن ان تقاوس الى الكثر من ، وكل هذا حسن وأنا في انتظار ان تستمر . ولكنك تجبرني عن نظام كوني غير مرئي تجذب فيه الالكترونيات الى نواة . وانت تقس لي هذا العالم بالصورة ، وأدرك حينئذ انك تقلصت الى حد الشعر : وانني ان اعرف . وهل ينال لي الوقت لكي اسناه ؟ لقد غيرت انت النظريات ، بجيت ان العلم الذي كان يعملني كل شيء انتهى الى قرصية ، وبجيت ان الوجود صار يعتمد في اللغتيه ، وبجيت ان عدم اليقين تم الاجابة عنه في عمل فني . فما حاجتي الى كل هذه الجهود ؟ ان الخطوط الناعمة لهذه التلال يريد المساء على هذا القلب الفلق بعماني : كثيرا . لقد عدت الى بدايتي . انني ادرك انني اذا كنت سأقبض على الظواهر واحصيا بواسطة العلم ، فانني لا استطيع ، مع كل ذلك ، ان افهم العالم . ولو كنت سأأس كيانه كله بأصبعي فانني ان اعرف اكثر . وانت تجبرني اين ووصف هو اكيد ولكنه لا يملني شيئا ، وبين فرضيات تدعي بانها ذهلي ، ولكنها ليست أكيدة . غريب عن نفسي وغريب عن العالم ، مسلح فقط بفكر ينفي نفسه في اللحظة التي ينطق فيها ببيان ما ، ترى ما هي هذه الرضية التي استطيع ان اجد فيها السلام فقط برفض ان اعرف ورفض ان اعيش ؟ والتي تنفذ فيها شهوة الغلبة عبر سوار تتحدى هجاتها ؟ أن اريد هو ان اثر المتناقضات . وكل شيء هو منظم بحيث انه يأتي بذلك السلام المسموم الذي هو وليد اللاتسكير والاميلات ، وإغفاء القلب ، والاعتزال القاتل .

وهكذا فان الادراك أيضا يجبرني بطريقته بان هذا العالم لا يجد . أما عكس الادراك ، اي العقل الاعمى ، فقد يدعي ان كل شيء واضح لقد كنت انتظر البرهان راتني ان يكون صحيحا . ولكن بالرغم من

هذا المدد من القرون الماضية ، وفوق رؤوس هذا العييد من المذنبين والبلهاء ، (قلبي اعرف انه زائف) ، وعلى هذا المستوى ، على الأقل ، ليست هنالك سعادة اذا لم يكن في وسعي أن أعرف . أن ذلك السبب العام ، علما كان ام اخلاقيا ، وذلك النظرة التقريرية ، تلك الاصناف التي تفسر كل شيء ، كافية كلها لتجعل المرء يقول بضحك . تلك امور لا علاقة لها بالقل ، انها تنفي حقيقة العميقة التي يراود الطافس بها . وفي هذا الكون الالمفهوم ، الحدود ، يتخذ مصير الانسان منذ الآن فصاعداً معناه . لقد احاطت به عصبية من الامور الالامقولة ، حتى خائفته النهائية . وفي وضوحه المستعاد ، البحوث الان ، يصبح الشهور بالاجدوى واضحا عسداً . قلت ان العالم لا يجد ، ولكني كنت قد تسرعت . كل ما يمكن قوله هو ان هذا العالم غير مقبول . ولكن الاجدوى تكن في مواجهة هذا الالامقول ، والتلف الوحشي على اوضح 'الذي يتدد صدى ندائه في القلب البشري . والاجدوى تعتمد على الانسان لاعتمادها على العالم ، وفي الوقت الحاضر ، فان الاجدوى هي الرابطة الوحيدة بينها . انها تربطها مما كما يربط اطقه بين مخلوقين . وهذا هو كل ما يستطيع ان اراه بوضوح في هذا الكون الذي لا قياس له ، والذي تحدث فيه مناصرتي . دعنا نتوقف هنا . اذا اعتقدت بعصية الاجدوى التي تقرر علاقي بالحياة ، واذا تشبعت تماماً بتلك الماطفة التي تعقب علي أمام مشاهد العالم ، مع ذلك الوضوح 'الغروض علي بالتبع علم ما ، فعلي ان اضحي بكل شيء من اجل هذه الامور 'الاكيدة ، وعلي ان اراها مباشرة لكي يكون في رسمي ان احتفظ بها . وفوق كل شيء ، علي ان اعد سلوكي ليناسبها ، ولاحقها في كل نتائجها . انني اتحدث هنا عن الامور المناسبة . ولكنني لاند ان اعرف قبل ذلك

هل يستطيع التفكير ان يعيش في تلك الصحارى .

* * *

انا اعرف الان ان الفكر قد دخل الى هذه الصحارى بالفعل ،
وهناك وجد خبره . وهناك ادرك انه كانت قبل ذلك يعيش على
الاشباح ، وبرر ذلك بعض أشد الأفكار الجامعا على التامل البشري .

منذ اللحظة التي يتم فيها ادراك اللاجذوى ، تصبح انفعالا ، أشد
الانفعالات ارعاجا . ولكن سواء كان المرء يستطيع ان يعيش مع
انفعالاته ام لا ، سواء كان يستطيع ان يتقبل قاننتها ام لا ، ذلك
القانون الذي يحرق القلب الذي تسمو به تلك الانفعالات ، الجواب على
ذلك هو الجواب على السؤال كه ، ولكن هذا السؤال هو ليس السؤال
الذي سنداهه الان ، انه يمكن في مركز هذه التجربة ، وسيتوفر لنا
الوقت لنعود اليه . دعنا نيز تلك الافكار والجوافز التي تولد في الصحراء .
يكفيها ان نمددها . وهي ، ايضا ، ممرورة للجميع اليوم . كانت
هناك دائما قوم يندافعون عن حقوق الاممقول ، ولم يختلف من الوجود
تقليد ما يسمى الفكر اللذل . وقد قيل الكثير في نقد المقولية بحيث
انه لا داعي هنا لتكرار كل ذلك . ومع هذا فان فقرتنا تتميز بتكرار
ظهور تلك الأنظمة المتعارضة التي نحاول ان تتسقط مفوات العقل وكأنه
كان هو الذي شق الطريق دائما . ولكن هذا لا يثبت قدرة العقل على
الوصول الى النتائج بقدر ما يثبت تركيز مطاعه . وعلى مستوى التاريخ ،
يوضح لنا ثبات الموقفين هذا الانفعال الاساسي للانسان الذي يتناهبه
حافزه الى الوحدة ورؤياه الواضحة التي قد يملكها ، للاسوار التي تحيط به .

ولكن مهاجة العقل لم تكن يوما بالقسوة التي هي عليها الان في عصرنا . فمُنذ صرخة زرادشت المظيئة ^١ « هو بالصدفة أقدم نبل في العالم » وقد منعتهُ الاشياء كلها حين اعلنت انه لن تسيطر عليها ارادة أبدية » ، ومنذ مرض كير كفارد القتال - ذلك المرض الذي يؤدي الى الموت دون ان يلجمه شيء آخر - « راحت ماني افكار الالاجدوى الممذبة يبيع احدها الآخر ، أو على الأقل » وهذا امر من الامور المهمة « افكار الفكر الالامقول والديني ، فمن ياستبرز الى هايدنغر ، ومن كير كفارد الى جيستوف » ومن الباحثين عن الطواهر الى شيلر ، على المستوى المنطقي وعلى المستوى 'الاخلاقي' استمرت عاتلة كاملة من الازمان ، جميعا الكآبة والظنين ، وتفرق بينها طرقها أو أهدافها ، في سد طريق العقل المتحكم ، وفي استعادة مرات الحقيقة المباشرة . وافترض هنا ان هذه الأفكار معروفة ومماثلة ، ومهما كان أو يكون طموح هؤلاء ، فقد بدأوا جميعا من ذلك الكون الذي لا يوصف والذي يتحكم فيه التناقض والفسخ والمنايا أو الضعف ، أما ما يجمعهم معا فيتجلى في الأفكار التي كشفت عنها حتى الآن . وقد كانوا هم أيضا مهتمين بالنتائج التي يمكن استنتاجها من هذه الاكتشافات . ومما مهم الى درجة اننا يجب ان نبحثهم بحثا منفصلا . ولكننا مهتمون الان باكتشافاتهم وتجاربهم الاولى فقط نحن مهتمون فقط بجلاصة اتفاقهم . فاذا كان من باب الفرض ان نعالج فلسفاتهم ، فانه لممكن وكاف على أية حال ان نبين الجو الذي يحيط بهم معا .

يبحث هايدنغر الوضعيَّة البشرية بعبود ويعلن ان ذلك الوجود مذل . والحقيقة الوحيدة هي - القلق - في سلسلة الكائنات كلها .

وبالنسبة للإنسان الضائع في هذا العالم وتنوعاته يكون هذا القلق خروفاً قصيراً عابراً. إلا أنه إذا أدرك ذلك لطوف نفسه ، فإنه يصبح عذاباً ،
الجزء الدائم لدى الإنسان الواضح - الذي يتركز فيه الوجود - أن استاذ
الفاصلة هذا يكتب بدون أن يرتعد ، وبأشد اللثة تجريدية في المسام ،
قائلاً - أن صفة الوجود البشري ، الحاضرة المهددة ، تسبق الإنسان
نفسه - . ويتبدد اهتمامه بكانظ فقط الى تسيّر صفة - العقل الخالص -
القيدة . وهذا يعني أنه يستنتج في نهاية تحليه - إن المسام لا يستطيع
بعد أن يقدم شيئاً للإنسان الذي يغلاه العذاب . ويلرح له هذا المذاب
أشد أهمية جداً من كل الاصناف في العالم ، التي يفكر ويتحدث بها
نقط ، أنه يمدد مظاهره : السأم حين يحاول الإنسان المعادي أن يكم
العذاب ويثله في نفسه ، والرعب حين يتسائل الذهن في الموت . وهو
أيضاً لا يفصل الإدراك عن التفاهة . فادراك الموت هو نداه القلق - ثم
يوجه الوجود نفسه نداهه عبر وساطة الإدراك - . أنه لصوت المذاب ،
وهو يرجو 'لوجود - أن يعود من ضياعه في - ثم - الجمهورية - . ويرى
هايدغير أيضاً أن المرء يجب ألا ينأى ، وإنما يجب عليه أن يظل ساهراً
حتى حين التنفيل . أنه يقف في هذا العالم اللاعجدي ويشير الى طبيعته
المارة . وهو يفتش عن الطريق وسط هذه الخرائب .

أما ياسبرز فهو يأس من كل علم الكينونة ، لأنه يدعي أننا قد
فقدنا - البساطة - وهو يعرف أننا لا نستطيع أن نحقق شيئاً يمكن أن
يتفوق على اللبنة الفائقة - لبنة الظاهر - . وهو يعرف أن نهاية الذهن
هي الفشل . وهو يمين النظر في المفارقات الروحية التي يتحدث عنها
التاريخ ويكشف بلا رحمة تقيصة كل منها ، تقيصة كل نظام ، الهم

أسطورة سيذيف - ٢٢

٣٣

*mais
dernière de toute ontologie parce qu'il veut que nous
ayons perdu la « naïveté »* →

الذي انتقد كل شيء ، التبشير الذي لم يفعل شيئاً . وفي عالمه المسيح هدراً والذي تبين فيه استحالة المعرفة ، والذي تلوّح فيه اللاشئية لأبدية الواقع الوحيد ، ويلوّح فيه اليأس الذي لا علاج له الموقف الوحيد ، في هذا العالم يحاول انت يستعيد خيط آريان الذي يؤدي إلى الأسرار القدسية .

أما جستونف فهو بين دون كل في مؤلفاته الرتيبة رتابة رائدة ان احكم الأنظمة وأشد المقولية عمومية تتهاوى دائماً امام لا منطقية الفكر البشري ، وهو لا ينفل حقيقة من 'لغائقي' المتعارضة الساخرة في ذاتها ، 'ر' المتناقضات المضعفة التي تخط من قيمة العقل . انه يتم بشيء واحد فقط ، وهذا هو الشاذ ، سواء في دنيا القلب او دنيا الذهن . وخلال التجارب النوستروفيسكية عن الانسان المحكوم ، والمعارات الوثيلة التي يقوم بها الذهن النيتشي ، والامنيات الماكنية ، او ارستقراطية اسبن البريرة ، نجده يتعقب ويسلط الأنواء ويضخم الثورة البشرية ضد ما لا يمكن تغييره . انه ينكر على العقل أسبابه ، ويبدأ بالتقدم ببعض التصميم فقط وسط تلك الصحراء التي لا لورث لها ، حيث يصبح اليقين اجباراً .

سجده المخلات سبده

ولعل أشد الجميع اهتماماً هو كيركغارد ، ففي جانب من وجوده على الأقل نجد انه قد فعل أكثر من مجرد اكتشاف اللاجدرى . فمن يكتب - ان أشد لصمت عماداً هو ليس 'مسالك' اللسان ، وإنما الكلام - يؤكد منذ البداية انه ليست هنالك حقيقة مطابقة أو تقادرة على التعبير بصورة مرضية عن وجود هو بذاته مستحيل . ان دون جوان الفهم هذا يضاعف التسميات المستمارة بالمتناقضات ويؤلف - أحاديث التهذيب -

و - مذكرات مفسد - . وهو يرفض التميزات والأخلاق والمبادئ الموثوق بها . أما بالنسبة للشركة التي يحس بها في قلبه فإنه يحتم أن لا يمسأ إليها . بالعكس ، انه يوقظ الألم بالنقطة التي يشعر بها رجل يعاني من الصليب ، ولكنه يمتبط به ، وينبني حجراً - بالوضوح ، و لرفض ، والوهم - نوع الانسان الذي يسطر على أفكاره شيء ما . ذلك الوجه الرقيق والساخو ، وذلك الدوران ، الذي تلبه صرخة من القلب ، هما الروح الثقافية نفسها اذ تصارع واقماً هو وراء فهمها . والنامرة الروحية التي تقود كبر كفارده الى فضائعه المجهوبة تبدأ بنموض تجربة حولة عن بدايتها ومنحدرة الى لاناسكها الأصلي .

وعلى مستوى مختلف تماماً ، مستوى الطريقة ، نجد هوسبرل وأصحاب مبدأ الطواهر ، يرون تعويض المسالم في تنوعها ، بواسطة اقراطهم ولا تعقلهم ، وينكرون ان للمقل قوة تفوق طبيعته . ويصبح العالم الرديهي بواسطة أغنى ، الى حد لا يوصف . فورقة الوردة والطيح الذي يشير الى الاميال في الطريق ، واليد البشرية ، كلها هي في أهمية الحب والرغبة ، و قوانين الجاذبية . ويكف التفكير عن التوحيد وعن جعل التشابه الظاهر مألوفاً بشكل مبدأ رئيسي . ويتسلم التفكير من جديد أن يرى ، وأن يكون متنبهاً ، وأن يركز الادراك ، وهو يحول كل فكرة وصورة ، بطريقة بروتست ، الى لحظة ذات مزاي . ان ما يبرر الفكر هو ادراكه المتطرف ، وبالرغم من ان هوسبرل هو أشد إيجابيّة من كبر كفارده وجيستوف إلا ان طريقته في السير ، منذ البداية ، تتنكر مع ذلك لطريقة العقل الكلاسيكية ، وتحجب الأمل ، وتكشف للبديهة والقلب ثولاً للظواهر ، ويتصف بمجوع ذلك بصفة لا بشرية . وهذه الطرق

تؤدي الى كل المعلوم ، أو أنها لا تؤدي الى أي علم ، ويشبه هذا قولنا انه في هذه الحالة تكون الوسيلة أهم من النتيجة . وكل ما يتضمنه ذلك هو - موقف للفهم - وليس تمزية . دعني أكرر : في البداية ، على الأقل .

كيف يستطيع لره ألا يشعر بالملاقة الأساسية بين هذه الأذهان ؟ كيف لا يستطيع الره أن لا يرى أنهم يقفون حول اللحظة المميزة المرة التي لا يجد الأمل لنفسه مكاناً فيها ؟ انني أريد أن يتم شرح كل شيء لي ، وإلا فاني لا أريد شيئاً . والعمل يكون مهماً حين يسمع هذا النداء من القلب . والذهن الذي يحركه هذا الاصرار لا يبحث عن شيء ولا يجد شيئاً غير التناقضات والسخف . وللذي لا أفيقه هو السخف . والذين يسكنون في العالم هم أمثال هؤلاء اللامقولين . والمأم نفسه ، الذي لا أفهم معناه الوحيد ، ليس غير لامتقولية هائلة . وإذا استطاع الره أن يقول مرة واحدة فقط : - هذا واضح - ، فسيتم انقاذ كل شيء . ولكن هؤلاء الرجال يناقش بعضهم بعضاً في بيان أنه ليس هنالك شيء واضح ، وإن كل شيء هو قوضي ، وإن كل ما لدى الانسان هو وصوحيه ومعرفته الاكيدة للأسوار المحيط به .

وكل هذه التجارب تتفق مع بعضها البعض الآخر ، وتؤكد بعضها بعضاً . فالذهن حين يبلغ حدوده يجب ان يصدر حكماً ويتنصّر نتائجيه . وهذا هو مكان الانتصار والجواب . ولكنني اريد ان اعكس الامر في هذه المسألة وأبدأ من الغامرة المدركة ثم آتي بمسد ذلك الى الافعال اليرمية . والتجارب المستعمدة في الذهن هنا قد ولدت في الصحراء التي يجب علينا الا نتركها ورامنا . فعلى الاقل ، من الضروري أن

نعرف الى أي مدى ذهبت تلك التجارب). وفي هذه النقطة من جهود
لإنسان ، نراه يقف وجهاً لوجه مع 'اللامعقول' . وهو يحس في نفس
فكرته على السعادة والعقل . وتولد لللاجدوى من هذا التقابل بين الحاجة
البشرية وصحت العالم اللامعقول . وهذا هو من الأمور التي يجب ألا
تنسى . ويجب التمسك بهذا لأن كل نتيجة الحياة يمكن أن تعتمد عليه .
فاللامعقول ، والحين البشري ، واللاجدوى التي يلدها لقائهما ، هذه هي
لصفات الثلاث في الدراما التي يجب بالضرورة ان تنتهي بكل ما في
الوجود من منطق .

الانتحار الفلسفي

ان الشعور باللاجدوى ، مع ذلك ، هو ليس فكرة اللاجدوى ،
انه يقدم اسمها ، وهذا هو كل ما في الامر . والشعور ليس مقتصرأ
على تلك المعكرة ، ما عدا في اللحظة الفعيرة التي يصدر فيها حكماً على
الكون . ولذا فان للشعور باللاجدوى فرصة الذهاب الى ما هو ابعد
انه حي ، بعبارة اخرى ، يجب ان يموت او يتكرر . كذلك هو
'الامر مع الأفكار التي جملناها مما' . ولكن هنا أيضاً أجد ان ما يعني
لا يعمل في اعمال افضل الازدهان ، تلك الاعمال التي يؤدي تقدمها الى
مكان آخر وشكل آخر ، وانما في اكتشاف ما يربط بين استنتاجات
تلك الازدهان . ونجد انه لم تختلف الازدهان يوماً كما تختلف هنا . ومع
ذلك فاننا نرى كيزة بارزة ، الاستداد الروحي الذي تشير فيه تلك
الازدهان . وكذلك ، فبالرغم من مناطق المعرفة الماثلة هذه ، فان
النماء الذي ينتهي به الامر يكون متشابهاً . ومن الواضح ان المفكرين

الذين يجتنبون الآن جواً عاماً . فإذا قلنا ان ذلك الجور قتال ، فارت قولنا هذا لا يقترب من اللعب بالكلمات الا قليلاً جداً . حالميش تحت السموات الخائفة يضطر المرء على الهروب ' و البقاء . والمهم هو ان نرى كيف يهرب الناس في الحالة الاولى ، ولماذا يبقى الناس ، في الحالة الثانية . وهذا هو تعريفى لمشكلة الانتحار والاهتمام الممكن بنتائج الفلسفة الوجودية .

ولكنني اود اولا ان اميل عن الطريق المباشرة . فقد استطعنا حتى الآن ان نحصر الالاجندوى عن الخارج . ويستطيع المرء ، على كل حال ، ان يتسامح عن مدى الوضوح في تلك المفكرة . و ن يحاول بالتصليسل المباشر ان يكتشف معناها من ناحية ، وللتناجح التي تتضمن عليها من الناحية الاخرى .

اذا اهتمت رجلاً بريئاً بحرية رهيبة ، واذا قلت لرجل فاضل انه قد اشتهى شقيقته ، فانه سيجيب قائلاً ان ذلك لا يجد . ويكونت لاسميائه مظهر كوميدى . ولكن له أيضاً سببه العميق ، والرجل الفاضل يوضح ، بذلك الجواب ، التناقض التعريفى الموجود بين الفصل الذي اعزوه اليه وبين مبادئه التي اعتنقها مدى الحياة — فانه لا يجد — تعني — انه مستحيل — ، ، ولكنها تعني أيضاً — انه متناقض — . واذا رأيت رجلاً مسلحاً بسيف فقط ، يهاجم مجموعة من الرشاشات ، فانهي سأعتبر عمله لا عجيباً . ولكن ذلك سيكون فقط بسبب 'اللاتناسب بين هدفه والواقع الذي سيواجهه ، التناقض الذي لاحظته بين قوته الحقيقية والهدف الذي يرميه لنفسه . وكذلك فاننا نقول عن حكم انه طافه حين نتقارنه بالحكم الذي تكون الحقائق قد أملته بصورة واضحة . وكذلك

فإن معنى الالاجدوى يتجلى بمقارنة نتائج مثل هذا التمثيل مع الواقع المنطقي الذي يريد المرء ان يقيمه . وفي كل هذه الحالات ، من أبسطها الى اشدها تعقيداً ، يكون مقدار الالاجدوى متناسباً بصورة مباشرة مع البعد بين نقطتي المقارنة . هناك زيجات لا مجدية ، وتحددات ، واحقاد ، وصحت وحروب وحق معاهدات صلح لا مجدية . وتثبت الالاجدوى بالنسبة لكل من تلك الامور من المقارنة . ولهذا قلدي ما يقرر قولي ان الشعور بالالاجدوى لا يثبت من مجرد دقة حقيقية او انطباع ، وانما من المقارنة بين حقيقة مجردة وواقع معين ، بين الفعل والمالم الذي يفرق طبيعة ذلك للفعل والالاجدوى هي بصورة اساسية افتراق . وهي لا تكون في العناصر التي تتم مقارنتها ، وانما تولد من مواجبتها ببعضها .

وفي هذه الحالة بالذات ، وعلى مستوى الادراك ، استطيع ان اقول ان الالاجدوى ليست في الانسان (اذا كان لئلا هذا التشبيه أي معنى) وليست في المالم ، وانما في وجودهما ممساً . والالاجدوى هي الرابطة الوحيدة التي تجمع بينهما الآن . واذا اردت ان احدد نفسي بالحقائق ، فأتاني اعرف ما يريد الانسان وما يقدمه المالم له ، ثم استطيع لأن اعرف ان اقول انني اعرف ما يوجد لها ، ولست في حاجة الى ان احفر عميقاً فيعين واحد يكفي بالنسبة للباحث ، وعليه فقط ان يستخرج منه كل النتائج . والنتيجة المباشرة هي أيضاً قاعدة من قواعد الطريقة . والثلاثية الغربية التي يسلط عليها الضوء هكذا ليست ، بالتاكيد ، بالاكشاف النجائي المدهش . ولكنها تشبه مدلولات التجريبية في انهما بسيطة بصورة غير محدودة ، ومعقدة بصورة غير محدودة أيضاً . وأول ميزاتها هي انها لا يمكن ان تنقسم . فاننا دمنا احد شروطها دهراما

كلها . ولا يمكن ان تكون هنالك لا جدوى خارج الذهن البشري .
وهكذا ، وكل شئ آخر ، تنتهي الالجدوى بالموت . ولكن لا
يمكن ان تكون هنالك لا جدوى خارج العالم ايضا ، وانني لاحكم
بوجوب هذا المقياس البدائي ان فكرة الالجدوى أساسية ، واعتبرها
اولى حقائقني . ويظهر حكم الطريقة الذي أشرت اليه هنا ، فاذا حكمت
بان شيئا ما هو اصحح فيجب علي ان احتفظ بذلك ، واذا حاولت
ان احل مشكلة ، فيجب علي علي الاقل ان احاول ان استعيد بالحل
نفسه شرطا من شروط المشكلة . والمداول الوحيد بالنسبة لي هو الالجدوى
واول شرط ، بل الشرط الوحيد في تساؤلي هو ان احتفظ بالشيء ذاته
الذي يسعطني ، أي ان احترم بالنائي ما اعتبره ضروريا فيه . وأكون
هنا قد عرفت أنه مواجهة وصراع لا ينتهي .

واذا سرت بهذا المنطوق التافه الى نهايته فيجب علي ان أقر بأن
ذلك الصراع يشتمل على غياب تام للامل ، (وليس لهذا من علاقة
بالناس) ، والرفض المستمر ، ويجب ان نفهم من ذلك أنه نبدأ
وللامرضي المدرك ، (الذي يجب علينا الا تقارنه بالقلق عند الانفج)
وكل ما يدمر ، او يستبعد ، او يطرد هذه المتطلبات ، (ولنبدأ
بالقبول الذي يهدم الاعتراق) ، نجد يدمر الالجدوى ويقال من شأن
'لوقف' الذي يمكن اقتراحه بعد ذلك . للالجدوى معنى فقط حين لا
يتم قبولها .

☆ * ☆

هنالك حقيقة واضحة تلوح اخلاقية قائما : وهي ، ان الانسان هو

دائماً ضحية حقايقه . فانه حين يقر بها ، لا يستطيع ان يحرر نفسه منها . وعلى المرء ان يدفع شيئاً . والانسان الذي يكون مدرسا للاجدري يرتبط بها الى الابد . والانسان الحسالي من الامل ، الذي يدرك انه كذلك ، لا يعود يمت للمستقبل بصفة . وهذا طبيعي ، ولكن من الطبيعي ايضا ان عليه ان يلافح ليتخلص من الكون الذي كان هو قد خلقه . وليس لما ذكرته منزى الا بترجب هذا التعارض . ولقد اقر البعض بالجو الالاجدي ، مبتدئين بتقد المتولية . وليس هنالك شيء اذل هنا من تفحص الطريقة التي توصلوا بها الى نتائجهم .

ولكي احصر نفسي بالفلسفات الوجدية ، فاني اجد انهم كلهم ، بدون استثناء ، قد اقترحوا خلاصاً . فبالتمسك التريب ، مبتدئين بالاجدري على خرائب العقل ، وفي كون مغلق محصور بما هو بشري ، نجدهم يؤلفون ما يحققهم ويجدون سبباً للامل فيما يقرهم . وذلك الامل الغروض هو ديني فيهم جميعاً . وهو يستحق الاهتمام .

وسأحال هنا ، كأمثلة فقط ، بعض الأفكار التي يميل اليها جينزوف وكيركنارد . ولكن باسبرز سيقدم لنا ، بشكل مصغر ، مثلاً نورنجيا على هذا الموقف . وكنديجة لذلك ، سيكون الباقون أشد وضوحاً . انه متروك بلا قوة قديح له ان يدرك ما وراء الحجب ، غير قادر على سبر غور التجربة ، ولكنه يدرك الكون الذي يقبله المثل رأساً على عقب ، فهل يتقدم ، و على الأقل يستنتج شيئاً من هذا الفشل ؟ انه لا يأتي بشيء جديد . وهو لم يجد في التجربة غير ريكمة ضمه هو ، ولم تتج له الفرصة ليخرج تبداً مرض . ومع ذلك ، ويدون اي مبرز ، كما يقول لنفسه ، يعلن فجة عن ذلك الذي هو وراء الحجب ، جوهر

التجربة ، والنسوى الرئيسي للحياة ، حين يكتب : - لا يكشف العقل ، بدون ان نكون هنالك اية امكانية للتفسير والايضاح ، لا عن غياب ، وانما عن وجود ذلك الذي هو وراء الطيب ؟ - انه يعرف ذلك الوجود ، الذي يوضح كل شيء فجأة وهو فصل اعنى من أفعال الثقة البشرية ، يقول انه - الوحدة الالامتنورة للسام والخاص ، - وهكذا تصبح الالامتنوى إلهاً - بأوسع معاني هذه الكلمة - ونصبح تلك الحاجة الى الفهم ، الوجود الذي يلقي ضرواً على كل شيء . وليس هنالك شيء يعد هذا التمثل منطقياً - يمكنني ان اسميه فقرة . ويمكننا بصورة متعارضة ان نفهم اصرار ياسبرز ، وصبره الالائهي المكروس لجل تجربة لطفي غير ممكنة الادراك . لانه كلما كان ذلك التريب عابراً اكثر ، كان التعريف أشد خلواً ، وذلك لطفي أشد حقيقة بالنسبة له ذلك لان الاتصال الذي يكرسه لتبينه هو مباشرة بنفسية المتفرقة بين قوته على التفسير ولا معقولة العالم والتجربة . لقد افصح بهذا انه كلما اردت مرارة تدمير ياسبرز لفاهيم العقل الالوية زاد تفسيره للعالم جذرية . ان نبي الفكر اللذال هذا سيجد في نهاية اللذلة وسائل اعادة قولة الكينونية باعنى ما يمكن ان تكون .

ولقد عودتنا الفكر الصوفي على مثل هذه الوسائل . وهذه الوسائل مشروعة ، قائما مثل اي موقف يتخذه العقل . ولكنني أتعرف الآن وكأني أتناول مشكلة ما بصورة جدية . وبدون أن أقدم بحكم سابق على هذا الموقف وقيمه العامة ، ار قابليته على اعطاء المعرفة اود ببساطة ان اجث ما اذا كان مناسباً للمراع الذي يعني . وهكذا أعود الى جيتوف . لقد اورد أحد المعاقين عبارة منقولة عنه ، رهي تستحق

الاهتمام : - اطل المصحيح الوحيد وهو بالضبط حيث لا يرى الرأي البشري أي حل ، وإلا فلماذا كنا سنحتاج إلى الله ؟ انتسا تعود إلى الله فقط لنحصل على المستحيل ، أسسا بالنسبة للممكن ، فالنشر يكونون . - وإذا كانت هنالك فلسفة جيستوفية فيمكنني ان اقول انه من الممكن تلتخيصها بتلك العبارة ، لانه ، في نهاية تحليلاته المنفية ، يكتشف اللاجدوى الأساسية في الوجود كله ، ولكنه لا يقول : - هذه هي اللاجدوى - ، وإنما يقول - هذا هو الله : يجب علينا ان نتمدد عليه حتى إذا لم يكن يتجاوب مع أي من 'انواعنا' المقولة . - ولكي لا يكون الارتباك محتملا فإن هذا الفيلسوف الروعي يشير حتى الى ان هذا الله قد يكون علوماً بالحدود وما يشير الاستثنائ ، تفسير مفهوم ، ومتناقضا ، ولكن كلما اشتدت مظاهر القسوة على وجهه ازداد تميره عن القوة . وعظمته تكن في لا تقاسكه ، وأما برهانه فهو بشرية ، وقد يكون على المرء أن ينطلق اليه ويهذه القفزة يكرر نفسه من الاوهام المقولة . وهكذا فإن قبول اللاجدوى بالنسبة لجيستوف هو أمر يحدث مع 'اللاجدوى' نفسها . أن ادراكها يسمو الى منزلة قبولها ، وكل ما في نهكبره من جهد منطقي منسحب على اظهارها بحيث يكون من الممكن ان ينطلق متدفقا ذلك الامل الهائل الذي تشتمل عليه . دعني اكرر ان هذا الموقف مشروع . ولكنني استمر هنا في بحث مشكلة واحدة مع كل نتائجها . وليس علي ان اتفحص انفعال فكرر او فعل من افعال الايمان والمقيدة . لدي الحياة كلها لافعل ذلك فيها . انني اعرف ان العمل العقلي يتضابق من موقفه جيستوف . ولكنني أشر أيضا بأن جيستوف حتى اكثر من العمل العقلي ، واريده فقط ان اعرف هل يظل غلصا لوصايا اللاجدوى .

والآن فاذا أقر بأن الاجدوى هي تقيضة الأمل ، فالتنا نرى ان الفكر الوجودي بالنسبة لجيستوف يفترض الاجدوى مقدماً ، ولكنه يشبها ليطردها . ومثل هذه البراعة في التفكير هي خدعة رجل التائيم والتعاويذ الماطقية . وحين يقوم جيستوف في مكان آخر بوضع لاجدواه ضد الاخلاقية والعقل السائدين ، فانه يسمي ذلك حقيقة وخلاصاً . ولهذا فهناك في هذا التمرين الاجدوى ، أساسياً ؛ مرافقة يصدرها جيستوف فاذا أقر بان كل قوة تلك الفكرة تكن في الطريقة التي تدير بها ضد آمالنا البدائية ، اذا شعرنا بان البقاء يعني انه لن تكون هناك حاجة للمرافقة على الاجدوى ، فيمكننا أن نرى بوضوح ان الاجدوى تصكون قد فقدت مظهرها الصحيح ، وميزتها البشرية والنسبية ، لكي تدخل أبداً هو غير مفهوم ولكنه مُرضٍ . فاذا كانت هناك لاجدوى فهي في كون الانسان ، وفي اللحظة التي تحول فيها الفكرة نفسها الى باطن الابدية ، فانها تكف عن الارتباط بالوضوح البشري . ولا تكون الاجدوى حينذاك الدليل الذي يتأكد منه الانسان بدون أن يتفق معه . ويتم تجنب الصراع ويحدد الانسان مع الاجدوى ، وبذلك يحل صفات الاجدوى الاساسية تختفي ، وتلك الصفات هي المضادة وبث الكاكية والافتراق . وهذه القفزة هي تخلص . كما ان جيستوف ، المربع جسداً بعبارة هاملت - العصر مزعزع - ، يسجل ذلك بما يشبه الأمل الوحشي الذي يلوح انه يخلصه هو . ذلك لأن هاملت لا يقصد ذلك في قوله هذا ، وشكبير لا يهدف اليه . ان الانتشاء بالاعمقونية ، والعبطة المذهلة يحولان الذهن الواضح عن الاجدوى . وليست للعقل جدوى عند جيستوف ، ولكن هناك شيئاً وراء العقل . والعقل لا يحدي شيئاً بالنسبة للذهن الالاجدي ، وليس هناك شيء وراء العقل بالنسبة لهذا الذهن .

يمكن لهذه الخطوة ان تلقي بعض الضوء بالنسبة الطبيعية الالاجدرى
 الحقيقية . نحن نعرف انها لا تستحق الذكر الا في حالة التعادل ، أي انها
 قبل اي شيء آخر ، في المقارنة وليست في طرفي المقارنة . ولكن يحدث
 ان جيستوف يؤكد على أحد طرفي المقارنة فيقتضي عليها . ان رغبنا في
 الفهم ، وحيننا الى المطلق ، يمكن التمييز عنها فقط ، بل بالضبط ، بقدر
 استطاعتنا انت فهم ونفس أشياء كثيرة . ولا جدوى في نفي السبب
 بصورة مطلقة ، فله نظامه الذي به يكون مؤثراً ، وذلك النظام هو نظام
 التجربة البشرية . ولهذا السبب أردنا ان نجعل كل شيء واضحاً . وإذا لم
 نستطيع ان نفعل ذلك ، اذا ولدت الالاجدرى في تلك المناسبة ، فانها تولد
 بالضبط في نقطة التقاء العقل المؤثر المحدود مع الالامقولية المتدفقة ابدأ .
 والآن ، حين يثور جيستوف ضد فرضية مغالية ، مثل – ان حركة المجموعة
 الشمسية تحدث بالتطابق مع قوانين لا تتغير ، وتلك القوانين هي سببها –
 وحين يكرس كل جهوده لاجباط معقولة سينبزا ، فانه يستنتج ، بالتالي
 نتائج تقول بجوء 'العقل' وكذلك ، يعكس 'الأمور عكساً طبيعياً' غير
 مشروع ، يبرز الالامقولية بين كل الأشياء الاخرى .^(١)

ولكن التحول ليس واضحاً . لانه قد تدخل هنا فكرة المحدود
 وفكرة المستوى . وقد تعمل قوانين الطبيعة حتى مرحلة معينة ، أما
 وراء هذه 'الرحلة' فانها قد تتقلب ضد نفسها لتلك الالاجدرى . أو انها قد
 تبرز نفسها على مستوى الرصف بدون ان تكون لذلك السبب حقائق
 على مستوى التفسير . وتتم التضحية هنا بكل شيء من اجل الالامقولية ،

(١) من اجل فكرة الاستثناء بصورة خاصة ، وضد 'رسطو' .

٥

وحين يتم طرد الحاجة الى الرضوح ، تختفي الالاجدى مع أحمد
طريق مقارنتها .

ومن الناحية الاخرى ، فان الانسان الالاجدى لا يقوم بعملية المستويات
هذه ، فهو يرى الصراع ، ولا يحتمر العقل بصورة مطلقة ، وهو يقر
بالاممقولية . وهكذا فانه يتقبل ثانية ، بنظرة واحدة ، كل مدلولات
التجربة ، وهو يميل قليلا الى ان يقفز قبل ان يعرف . انه يعرف ببساطة
انه ليس هنالك في ذلك الادراك المتوقف مكان الأمل .

وسنرى عند كيركغارد اكثر عما استطعنا ان نراه عند ليون جيتوف .
واضح انه من الصعب تلخيص الفرضيات الواضحة عند مثل هذا الكاتب
البارع في التملص . ولكن بالرغم من كتاباته المتناقضة ، واستمراراته ،
وخسعه ، وابساماته الساخرة ، يمكننا ان نشر خلال مؤلفاته بتبنيه ،
وفي الوقت نفسه بفهمه ، الحقيقة نراها في التسمية تتدفق في مؤلفاته
الاخيرة . ذلك لان كيركغارد أيضا يقوم بتلك القفزة . ولا كان قد دفر
في طفولته من المسيحية فانه يعود نهائيا الى اخشن مظاهرها . ويصبح
النسخ والتعارض بالنسبة له أيضا مقياسين لا هو ديني . وهكذا فانت
الشيء نفسه الذي قاده الى اليأس من معنى وعمق هذه الحياة ، يعطيه
الآن حقيقته ورضوخه . المسيحية هي قضيعة ، ولكن مسا يدعو اليه
كيركغارد يتمثل في التضحية الثالثة التي يطلبها اغناطيوس لويولا ، تلك
التي يبتسط بها الله : تضحية الذهن - ^(١) ونتيجة هذه القفزة الثورية ،

٦

(١) قد يظن انني اعمل المسألة الجرمية هنا مسألة الايمان . ولكني لست افحص قضية كيركغارد
ار جيتوف ، او ، بعد ذلك ، هوسبرل (يتطلب هنا مكانا آخر وموقفا فكريا آخر) ، وانما
أؤرم فقط باستمارة فكرة منهم ، وبرؤية ما اذا كانت نتائجها يمكن ان تتناسب الاسس التي
رسمتها . المسألة هي مسألة استمراري في المحاربة .

ولكنها يجب ألا تدهشنا . إنه يعمل من اللاجدوى مقياس العالم الآخر
في حين إنها ما تبقى من تجربة هذا العالم . ويقول كيركغارد : — يحسد
المؤمن انتماره في فعله . —

ليس لي ان أنسامل عن التعاليم المثيرة التي يرتبط بها هذا الموقف ،
ولكن يجب علي فقط ان أنسامل عما إذا كان مشهد اللاجدوى ، وميزاتها ،
يبرر هذا 'لوقف' . بيد انني اعرف ' ان ذلك ليس صحيحا بالنسبة لهذه
النقطة . فمجرد بحث محثوي اللاجدوى ثانية يستطيع 'لره ان يفهم
فيها افضل الطريقة التي ألممت كيركغارد . فهو لا يحتفظ بالتعادل بين
لا معقولة العالم وحسين اللاجدوى النائر . وهو لا يجترم العلاقة التي تؤلف
الشعور باللاجدوى . ولما كان واثقا من عدم امكانية الخلاص من اللامعقولة ،
فانه يريد ان يتقن نفسه على الأقل من الحزين اليأس الذي يلوح له
حقبا ، خاليسا من المضمون . ولكنه اذا كان حقا في رأيه حول هذه
لنقطة فانه لا يمكن ان يكون في نفسه . اذا استعاض عن نداء ثورقه
بتمسك عفيف فانه سيقاد الى حيث لا يرى اللاجدوى التي كانت هي
التي أرشدته قبل ذلك ، والى تأليه اليقين الوحيد الذي يملكه ، 'اللامعقولة'.
'لشيء المم' ، كما قال آبيه غالبا في لدام دينيه ، هو ألا نشفي ، وانما ان
نعيش مع أمرانفسا . ولكن كيركغارد يريد ان يشفي . ولشعاه هو
رضيته المبروفة ، وهي تظهر خلال كل مذكراته والجهود المام الذي تبذله
ذهنيته منصب على الخلاص من التعارض الكامن في الرضية البشرية .
وهذا هو مجهود يأس ، مسا دام يدرك سخطه حين يتحدث عن نفسه
وكأنه لا يخوف الله ولا التقوى يمكن ان ينصاه السلام . وهكذا نجد
انه ، عبر الأعداء الكاذبة لللاحقة ، يعطي اللامعقولة مظهرا ، والله

صفات الالاجدوى : غير عادل ، غير متساك ، غير مفهوم . والذكاء وحده
يجاول فيه ان يخنق مطالب القلب البشري المتكاملة . ولما لا يتم اثبات
شيء ، فمن الممكن اثبات كل شيء .

والحق ان كبير كفارد نفسه يجربها بالطريق التي يسير فيها . ولست
اريد ان اقترح شيئاً هنسا ، ولكن كيف يفشل المرء في ان يرى في
مؤلفاته بئر الروح للتعهد تقريباً ، لمعادلة البئر المقبول بالنسبة الالجدوى .
ان ذلك يمثل الفكرة الكاملة في - المذكرات - . - وان الذي يشوهني
هو الحيوان الذي يكون جزءاً من المصير البشري ايضاً ... ولكن اعطني
جسماً عندئذ . - ثم يقول : - أوه ، نخاهمة في اول شباني ، كنت
ساعطي كل شيء مقابل ان أكون رجلاً ، حق ولو لمدة سنة اشهر ، ...
ان مسامعوزني بصورة أساسية هو الجسم ، والشروط المادية للوجود .
- وفي مكان آخر نجد الرجل نفسه يتبنى نهاء الأمل العظيم الذي هبط
عبر قرون عديدة ، مشجعاً عدداً لا يحصى من القساوب ، وخاصة قلب
الانسان الالاجدي . ولكن الموت بالنسبة للمسيحي ليس نهاية كل شيء
وهو يشتمل بصورة لاعدودة على مزيد من الأمل ، أمل اكثر من الأمل
الذي تشتمل عليه الحياة ، حق حين تكون تلك الحياة متدفقة بالصحة
والقوة . - ان التمزي بواسطة فضح النفس ما يزال تميزاً ، وهو يسمح
للمرء ، كما يمكنسنا ان نرى ، بأن يأمل المكس ، الذي هو الموت ،
ولكن حق اذا كان الشهور بالجامعة يدفع لمرء الى ذلك الموقف . فما
زال من الواجب علينا ان نقول ان الاقراط لا يبرر شيئاً . فهذا يفوق
الذي ان البشري ، كما يقول المثل ، ولهذا فلا بد ان يكون فوق البشر .
ولكن هذا - لذلك - هو أمر غير ضروري ، فليس هنالك يقين منطقي

في هذا ، كما انه ليس هنالك احتمال تجريبي ايضاً . وكل ما أستطيع ان أقوله هو أن ذلك يفوق ميزاتي في الواقع . وإذا لم أشتق منه تفهماً ، فاني لا أريد على الاقل ان أؤسس أي شيء على اللا مفهوم . أريد أن أعرف هل أستطيع أن أعيش بأعرفه ، وبه وحده . ويقال لي ثلثية إن الذكاء يجب ان يضمحي بكبريائه هنا وإن العقل يجب ان ينصفي . ولكنني اذا رأيت حدود لعقل فاني لا انفيه ، لأنني ادرك قواه النسبية . أريد فقط ان أظن في هذه الطريق الوسط حيث يستطيع الذكاء ان يظل واضحاً . فإذا كان هذا هو ما يؤلف كبريائه فاني لا اجد هنالك ما يدعو الى التخلي عنه . لا شيء هنالك أعظم من وجهة نظر كبير كمارد مثلاً التي يكون اليأس بها حالة وليس حقيقة — حالة الخطيئة نفسها . لأن الخطيئة هي التي تبعد عن الله^(١) . واللاجدوى ، التي هي الحالة المتنافيزكية للانسان المدرك ، لا تقود الى الله . ولعل هذه الفكرة ستصبح اكثر اذا جازفت بهذه العبارة المبررة : اللاجدوى هي خطيئة بدون الله .

انها مسألة الميخ في حالة اللاجدوى تلك . انني اعرف على مساندات تؤسس ، وهذا الذهن وهذا العالم يتوزعان ضد احدهما الآخر دون ان يكون في رسمها ان يتقبل احدهما الآخر . انني اسأل عن قاعدة حياة تلك الحالة ، ولا أجد غير ما يعمل أساسها ، وينبغي أجد طريقي للممارسة المولدة ، ويتطلب مني استسلاماً . انني اسأل عما تتضمنه الرضعية التي هي رضعتي كما ارى ، واعرف انها تتضمن النموذج و الجمل ، ويقال لي إن

(١) لم أقل — تسبعم الله — لأن ذلك يسمو الى منزلة للتوكيد ،

هذا الجمل يفسر كل شيء وان هذا الظلام هو نورى . ولكن ليس هناك جواب لا قصده ، وهذه الغنائية المثيرة لا تستطيع ان تخفي التمارض عني ، يجب ان يدبر المرء وجهه اذن . وقد يتف كبر كفارد عذراً : - اذا لم يكن للانسان ادراك ابدى ، واذا كانت في اعماق كل شيء قوة وحشية صخابة فقط ، قول كل شيء ، كبيراً كان أم صغيراً ، في عاصمة الانفعالات المظلمة ، واذا كان الجواهر الذي لا قعر له والذي لا يستطيع شيء ان يلاؤه ، يكمن في كل الاشياء ، فماذا ستكون الحياة غير اليأس ؟ - ولكن هذا النداء لن يوقف الانسان الالاجدى . فابحث عن الصحيح ليس البعث عن المرعوب . واذا كان يجب على 'لره ليتجنب السؤال الملح : - ماذا ستكون الحياة ؟ - ان يأكل زهور الرمح ، كالخار ، فان الذهن الالاجدى يفضل ، بدلاً من ان يتخلى عن نفسه لليأس ، ان يلبنى جواب كبر كفارد بدران خوف : - لليأس - . ان النفس المصمتة ، برغم كل شيء ، تستطيع ان تدبر امورها دائماً .

* * *

'لني أصبح لنفسي هنا بأن أسمي الموقف الوجودى انتحاراً فلسفياً . ولكن هذا لا يشتمل على حكم . وإنما هي طريقة مريحة في بيان الحركة التي يتقي بها المكر نفسه ويئيل الى التفوت على نفسه بنفسه هذا . النفي هو الله بالنسبة للوجوديين . واذا أردنا الدقة ، فان الاحتفاظ بذلك الله يتم فقط عبر نفي العقل البشرى^(١) . ولكننا نجد ، كالانتحار ، انت الكلمة يتنبرون فيما لتنبير البشر . وهناك طرق عديدة للقيام بالقذرة ،

(١) معنى أئين ثانية. - لست أوافق 'اعتراف بالله منا، وإنما النطق المؤدى الى هذا الاعتراف.

بيد ان الامر الجوهري هو ان تم القفزة ذاتها . قد تبتنى ألوان النفي هذه ، والمتناقضات النهائية التي تنفي العقبة التي لم يتم القفز فوقها بعد ، (وهذا هو التناقض الذي يهدف اليه هذا التمهيل) ، قد تبتنى من وحي ديني معين تماما كما تبتنى من النظام التعليمي . انهم يطالبون بالجألك دائما ، ولم يقومون بالقفزة في هذا وحده .

على ن كرر ان التمهيل المطور في هذا البحث يتخطى تماما عن الموقف الروحي الواسع الانتشار في عصرنا المتقف ، ذلك الموقف الذي يستند على المبدأ القائل بان كل شيء هو العقل ، والذي يهدف الى تفسير العالم . وانه لامر طبيعي اعطاء وجهة نظر واضحة عن العالم بعد قبول الفكرة القائلة بانه يجب ان يكون واضحا . بل ان هذا امر مشروع ، ولكنه لا يخص التمهيل الذي تتبعه هنا . ولحق اننا نهدف الى القضاء ضوء على الخطوة التي يقوم بها الذهن حين يقتضي به الامر الى المشور على معنى وعق في الفلسفة التي يبدأ منها ، والتي تقول بعدم وجود اي معنى في العالم . وأشد هذه الخطوات تأثيراً هي الخطوة الدينية ، وهي تتمحور في فكرة اللامعقولية . ولكن أشدها تناقضاً وأعقبا منزى هي تلك التي تنسب اسبابا معقولة لعالم كانت بالأصل تتخيله خالياً من اي مبدأ موجه . ومن المستحيل في أية حالة الوصول الى النتائج التي تهنا بدون ان نمطي فكرة عن هذا الذي تحققه روحية الجنين المكتسب .

سأقتصر فكرة - القصد - فقط ، التي فادى بها هوسبرل واصحاب ميسدا الطواهر . فطريقة هوسبرل كانت بالأصل تنفي النسق العقلي الكلاسيكي . دعني اكرر ، فالتفكير ليس التوحيد ولا جعل المظهر مألوفاً

تحت ستار مبدأ عظيم . التفكير هو ان نتعلم من جديد كيف نرى ، وكيف نوجه ادراكنا ، وكيف نجعل من كل تصور مكاناً متميزاً . وبمباراة اخرى ، فان مبدأ الظواهر لا يفسر العالم وانما يريد فقط ان يكون وصفاً للتجربة الفعلية . انه يؤكد الفكر الالاجدي ببيانه البدائي القائل بانه ليست هنالك حقيقة ، وانما هنالك حقائق . فن نساثم المساء الى هذه اليد التي هي على كتفي ، تكون لكل شيء حقيقته ، والادراك يضيفها بانتباهه اليها . والادراك لا يشكل موضوع فهمه ، وانما هو يركز فقط ، انه عملية الانباه ، وذا اقتطفنا شيئاً من برضون امكننا ان نقول انه يشبه آلة العرض التي تركز فجأة في صورة . والفرق هو أنه ليس هنالك سيناريو ، وانما هنالك توضيح متعاقب غير متناهي . وفي ذلك الفائز السحري تكون لكل صورة ميزاتها . والادراك يعلق في التجربة موضوعات انتباهه ويمزجها بواسطة معجزة ، فتصبح لذلك وراء كل الاحكام . وهذا هو - المقصد - الذي يميز الادراك . ولكن هذه الكلمة لا تعني شيئاً من معاني النهائية ، وانما تؤخذ بما تعنيه من - الاتجاه - واهميتها الوحيدة هي في الوصف المكاني .

يلوح لوحة الاولى انه ، بهذه الطريقة لا يناقض شيء مسا الروحية الالاجدية . فالترافيع الفكرية هذا الذي يحصر نفسه بوصف ما لا يريد تفسيره ، وذلك الضبط الذي ينجم منه بصورة متناقضة غنى عميق في التجربة . ومولد للعالم فانية بكل ما فيه من كثرة ، كل تلك الامور هي عمليات الالاجدية ، على الاقل للوحة الاولى . لأن طرق الفكر ، في هذه الحالة كما في الحالات الأخرى ، تتخذ مظهرين دائماً ، الاول سايكولوجي

والثاني ميتافيزيكي^(١) ، ولهذا فإنها تتقبل حقيقتين . فإذا كانت فكرة المقصود تدعى فقط بتوضيح موقف سايكولوجي ، نستفيد فيه الحقيقة الواقعية بدلاً من أن يتم تفسيرها ، فلا شيء يفصلها في الواقع عن الرسمية اللابجدية . إنها تهدف إلى تعداد ما لا تستطيع تحطيه ، إنها تؤكد فقط أنه بدون أي مبدأ موحد ، يستطيع الفكر أن يقتبط بوصف وفهم كل مظهر من مظاهر التجربة . وهكذا تكون الحقيقة التي يتضمنها المظهر أن سايكولوجية في طبيعتها . إنها تدل فقط على - الأهمية - التي يستطيع الواقع أن يعطيها . إنها طريقة في إيقاظ عالم قائم ، وجعله واضحاً جيباً في الذهن . يبدو أنه إذا حاول المرء أن يوسع فكرة الحقيقة تلك ، ويعطيها أساساً معقولاً ، إذا ادعى المرء بأنه بهذه الطريقة يكتشف - جوهر - كل موضوعي من موضوعيات المعرفة فإنه يعيد إلى التجربة معناها . لأن ذلك غير مفهوم بالنسبة للذهن اللابجدي . والآن فإن هذا التردد بين الاعتدال والثقة الملحوظين في الموقف القصدي ، وهذا التلاؤم المنقطع للفكر 'لغوي' بالظواهر ، هما اللذان سيوضحان التعليل اللابجدي أفضل من أي شيء آخر .

ذلك لأن هوسبرل يتحدث أيضاً عن -جوهريات متطرفة في موقفتها - يلقي الانتباه ضوئه عليها ، وهو يشبه افلاطون في هذا . فكل الأشياء لن يتم تفسيرها بشيء وإنما بكل الأشياء . انفي لا أرى أي فرق . ولنتق بأن تلك الأفكار الخاصة بتلك 'جوهريات' التي يلتجئها الإدراك في نهاية كل وصف لا يمكن أن توصف الآن باعتبارها غافج كاملة . ولكنه قد تم

(١) حتى أشد علوم المعرفة قوة تشتمل على الميتافيزيك ، ولدرجة ما فإن ميتافيزيكية عدد كبير من المفكرين الماصرين تتألف من أنهم لا يكونون شيئاً يقدمونه عبر علم المعرفة .

بيان كونها -حاضرة مباشرة في كل مدلول من مدلولات المعرفة الحسية .
 فلم تعد هنالك فكرة واحدة تفسر كل شيء ، وإنما هنالك عدد لا نهاية
 له من الجوهريات التي تعطي معنى لعدد لا نهاية له من الموضوعيات .
 يتوقف العالم ولكنه يضيء أيضا . وتصبح واقعية افلاطون بدينية ، ولكنها
 ما تزال واقعة . لقد كان كبر كفارد مبتلما في الله كبر كفارد ، وخاص
 بارمينيدس بالفكر في الواحد . ولكن الفكر هنا يندفع نحو تعدد الهي
 تجريدي ، وليس هذا كل شيء ، لأن هذيان الخيالات والتصورات أيضا
 تخص - الجوهريات المتطرفة في مؤقبتها - . وفي عالم الأفكار الجديد ،
 يتعاون أصحاب الطبائع الزردجة مع الجنس الأشد توافقا ، جنس
 الانسان المتعدن .

كان الانسان اللاعبي يجد في ذلك الرأي الساكروولوجي الصرف
 القتال بأن لكل مظاهر العالم ميزاتها الخاصة حقيقة ومראה . فالقول بأن
 لكل شيء ميزته الخاصة يشبه القول بأن كل شيء هو مساو ومبادل .
 ولكن المظهر الميتافيزيكي لتلك الحقيقة مثال في البعد بحيث ان الانسان
 اللاعبي يشعر عبر رد فعل بدائي بأنه ربما كان اقرب الى افلاطون .
 والحق انه يعلم ان كل تصور يفترض مقدما جوهرأ مساويا له في ميزاته .
 وفي هذه الفكرة يكون للمالم خاليا من الطبقات ، يكون جيشا مؤلفا
 من الجنرالات وحسب . واصلق ان الوصول الى الخوارق امر قسده تحت
 ارائته . ولكن انجاما مفاجئا في الفكر يعيد للمالم نوعا من الجوهر
 الكامل الجرا الذي يبعد للصكون عقه .

هل يخيفني اني أضرفت في بحث فكرة بجثها - القوما أوسع البحث

وأعقده ؟ انني أكتفي بقراءة بيانات هوسبرل التي يلوح انها متعارضة ، ومع ذلك فهي منطقية بصورة قوية اذا تم قبول ما ذكرناه : ان ما هو صحيح ، هو صحيح بصورة مطلقة وبذاته . والحقيقة واحدة ، بذاتها تعترف ذاتها ، مهما اختلفت المخرقات التي قدركها ، بشراً ، 'و' مخالفة ، او ملائكة ، ارآله . - ان العقل يقتصر ويعلم قائلاً : لا يستطيع ان أنكر . فماذا تعني بياناته في عالم اللاجندري ؟ ان الادراك الحسي في اللاك او الإله لا يعني شيئاً بالنسبة لي . وذلك الموضوع الهندسي الذي يصادق فيه العقل المقدس على عقلي سيكون دائماً امرآ غير مفهوم ، بالنسبة لي . فبتلك أيضاً أرى قفزة ، وبالرغم من انها تتم تجريباً الا انها تعني بالنسبة لي نسيان ما لا اريد نسيانه ، وحين يتساهل هوسبرل بعد ذلك : . لو كانت كل الكتل الخاضعة للجذب استخفي ، فان قانون الجذب لن يدور وإنما سيطر دون ان يكون في الوسع تطبيقيه . - انني أعرف انني أراجعه منافذينكية معزية ، واذا كنت سأكشف الموضع الذي يفترق فيه الفكر عن الدليل ، فليس علي الا ان أعيد قراءة التمهيل 'لوازي' الذي يقول به هوسبرل بشأن الدهن : - لو استطعنا ان نتأمل بوضوح في قوارب العمل ان 'الدهن' فانها ستلوح خالدة لا متغيرة ، تماماً كالقوارب الأساسية في العلم الطبيعي النظري . وهكذا فستكون صحيحة حق اذا لم تكن هنالك عملية ذهنية . وحق اذا لم يوجد الدهن ، فان قوانينه ستكون موجودة ! وهكذا أبجد ان هوسبرل يريد ان يجعل من الحقيقة السايكولوجية حقيقة معقولة . فبعد انكاره القوة المناسبة في المفصل البشري ، يقفز بهذا الى العقل الخالد .

ان فكرة هوسبرل عن - الكون المورس - لا يمكن ان قدمشي .

والذي قيل لي 'ان الجمهوريات ليست كلها شكلية وانما بعضها هو مادي ،
 ان الاولى هي موضوع المنطق والثانية هي موضوع العلم ، فهذه هي مسألة
 تعريف . ويقال لي ان الجرد يشير الى جزء فقط ، دون ان يكون
 مدسجما بذاته ، من كون مجرد . ولكن التردد الذي ينته يسمح لي ان
 ألقي ضوءاً على ربكة هذه الامور . لأن ذلك قد يعني ان الموضوعي
 الملموس في انتباهي ، هذه السماء ، وانعكاس ذلك الماء على هذه السقرة ،
 هو الذي يحتفظ وحده باستقلال الواقعي الذي يعزله اهتامي في العالم .
 ولن أنكر ذلك . ولكن ذلك قد يعني ايضا ان هذه السقرة نفسها هي
 عامة ، وان لما جوهرها الخاص الكافي ، وانها تخص عالم الاشكال .
 وهكذا أدرك انه لم يتغير الا ترتيب للمرض . فلم يعد هذا العالم ينمكس
 في كون أعلى ، ولكن سماه الاشكال تتمثل في حشد صور هذه الأرض .
 ولا يبدل هذا شيئاً بالنسبة لي . وبدلاً من ان أواجه هنا تذوقاً للملوس ،
 ولغنى الوضعية البشرية ، أجد عمقاً فكرياً غير مقيم بصورة كافية لتمجيد
 الملوس نفسه .

* * *

من غير المجدي ان نندمش من التعارض الواضح الذي يقود الفكر
 الى نقي ذاته بالاتجاهات المماكسة في العقل والمعل المتصر . فن
 إله هو سيرل الجرد الى إله كبير كفارد الذي يبهز الانظار ليس هنالك بعد
 كبير . ان العقل واللامقولية يؤديان الى التبشير ذاته . ولحق ان طريقة
 الوصول لا تتم الا قليلاً ، وانما تكفي لإرادة الوصول . والفيلسوف
 التجريدي ، والفيلسوف الديني يبدأان من الفوضى نفسها ، ويعزون احدهما
 الآخر في التلق ذاته . ولكن الامر الجوهري هو التفسير . والطينين

الكتيب هنا هو أقوى من المعرفة . ومن الأمور التي لها دلالتها ارت
تفكير المعسر هو في وقت واحد تفكير مشيع بفلسفة تقول بلا معنى
العالم ، وتفكير متقسم على نفسه بالنسبة لنتائجه أشد الانقسام . انه
متارجع دائما بين التطرف في اسباغ التمليل المقول على الواقع الأمر
الذي يميل الى تقسيم ذلك الفكر الى أسباب قياسية ، وبين التطرف في
اللامقولية التي قيل الى ثاليه . ولكن هذا الافتراق سطحي فقط . انه
أمر خاص بالتوفيق بينها ، وفي أية واحدة من الحالات نجد ان الفقرة
تكون كافية . ومن المظنون خطأ دائما ان فكرة العقل هي فكرة ذات
إجاء واحد فقط . واطق انه مهما يكن هذا الفهوم مكشوداً في مطاوعه ،
فانه يشبه الأشياء الأخرى في لاستقراره . فلما قل مظهر بشري تماماً ،
ولكنه قادر أيضاً على الاتجاه نحو 'لقدس . ومنذ بلوتينوس ، الذي كان
أول من وفق بينه وبين الجبر الخالد ، تعلم العقل الرجوع عن أعز مبادئه ،
التعارض ، لكي يكون في وسعه ان يحمل في ذاته أشد المبادئ غرابية
وسعراً ، مبدأ المشاركة^(١) ، انه وسيلة من وسائل الفكر ، وليس الفكر
نفسه . ثم ان فكر الانسان هو حينه الكتيب .

وقاماً كما استطاع العقل 'ن يطمن سوداوية بلوتينوس ، فانه يقدم

(١) أ — كان على العقل في ذلك الوقت ان يحيف نفسه اويوت ، انه يحيف نفسه .

وبعد ان يسكن العقل منطقياً عند بلوتينوس ، فانه يصبح جالياً ، ويحل التنبيه على الفرض
والنتيجة 'المتقين .

ب — و'اكثر من ذلك . فان هذه ليست مساهمة بلوتينوس الوحيدة في علم الطواهي ، فقد
تجلى هذا الموقف كله في المهوم الذي كان يتشبه به هذا الفكر الاسكندراني بحيث انه ليست
منالك فكرة الانسان وحسب ، وانما فكرة سقراط أيضاً .

للغضب الحديث وسائل ليهديء نفسه بها في الشكل المألوف لما هو خالد . ولكن 'لذهن' اللاعبدى ليس محظوظا هكذا . فهو لا يرى المسالم بهذه المعقولة ، ولا بهذه اللامعقولة . انه غير مبرر وحسب . وليس للعقل من حدود مع هوسيل مطلقا . اما الالاجدى فانها ، على العكس ، تضع حدودها لكونها غير قادرة على تهدئة عنائها . ويقول كير كنارد بصورة مستقلة ' ان حداً واحداً يكفي لكي ينفي ذلك المذاب ، ولكن الالاجدى لا تنهيب الى ذلك المدى . فبالنسبة لما يكون ذلك الحد موجبا فقط نحو مطامع العقل . ان فكرة اللامعقولة ، كما يفهمها الوجدونيون ، هي العقل الذي يرتبك ، ويهرب عبر نفسه لنفسه . الالاجدى هي العقل 'لواضح' الذي يلاحظ حدوده .

ولا يدرك الانسان اللاعبدى الا في نهاية هذا المر الصعب دوافعه اطقية . وبقدرة إلماحه الداخلى ما يقدم اليه ، يشعر فجأة بأنه مقدم على التراجع . وفي كون هوسيل يتضح العالم ويصبح ذلك التلف على المألوف ، الذي يضمه القلب ، غير مجد . 'ما في الغام كير كنارد فيجب 'لتخلى عن تلك الرغبة في الوضوح 'ذا كان يراد إشباعها . فالخطية لا تتمثل في المعرفة (وإلا لكان 'ببيع أبرياء) وانما تتمثل في الرغبة في المعرفة . واطق انها الخطية الوحيدة التي د تطيع الانسان 'لاعبدى ان يشعر بانها تولف جريته وبراءه معا . ان أمامه حل تصبح فيه تناقضات 'الاضى كلها لعبا جدلية . ولكنه لم يكرب ذلك هكذا . اذ يجب 'احتفاظ بحقيقة تلك التناقضات ، وتآلف هذه الحقيقة من انها لا يتم ارضاؤها وإشباعها ، انه لا يريد التيسير .

ان تدبلي يريد ان يكون خلاصا للدليل اللذي آثاره . وذلك الدليل

هو الالاجدي . ان ذلك الافتراق بين الذهن الذي يرغب المسالم الذي يجتنب ، حثني الى الرصد ، هذا ليكون الجزأ ، والتناقض الذي يجمع لأجزاء مما ، تلك الامور كلها هي الدليل . فكثير كغارد يكتب حثني ، وهو سيرل يجمع أجزاء ذلك الكون . ولكن هذا هو ما لم أكن أتوقه . كانت المسألة تملق بـميش ، والتفكير بهذه الامور المزعجة ، وبمعرفة ما 'ذا كان المرء يقبل ام يرفض . وليس هناك مجال لبرقمة الدليل ، لكنم الالاجدري بانكار احد طرفي معادلتها . ومن الجوهرى ان يعرف المرء هل يستطيع ان يعيش معها ، ام ان المنطق ، من الناحية الاخرى ، يجعل 'لـمرء يوت بها . ولست مهتماً بالانتحار الفلسفي ، وانما بالانتحار المادي . انني اريد فقط ان أنقيه وأخلصه من محتواه الماطفي وانت أعرف منطقته ونمطه . وكل موقف آخر يعني بالنسبة للذهن الالاجدي الجذاع وتراجع الذهن 'مام ما كان لذهن نفسه قد كشف عنه . ويقول هو سيرل انه يطبع الرغبة في الخلاص من العادة المتأصلة ، عادة العيش والتفكير ضمن ظروف من الوجود ، معينة معروفة ومريحة — ، ولكن القفزة النهمائية تعيد فيه الخلل ، والراحة التي تراق ذلك . ولا تمثل القفزة خطراً شديداً كما يتوقع منها كيركغارد ان تفعل . فالخطر ، بالمعكس ، يمكن في اللحظة الدقيقة التي تسبق القفزة . والقدرة على البقاء فوق القمة التي تدبر الرأس — هذا هو التأسك ، والبقية هي الزيف . وأنا أعرف أيضاً ان الضعف لم يلهم مثل هذه التوافقات الملحوظة لاحد كما ألهم كيركغارد بها . جيد انه اذا كان للضعف مكانه في مشاهد التاريخ الالامكتثرة ، فليس له مثل هذا المكان في التعليل الذي تعرف الآث أهميته وإطاحه .

الحرية اللاهوتية

والآن بحد ان أتعت الشيء الرئيسي ، ما تزال لديّ حقائق معينة لا أستطيع ان أبتعد عنها . فما أعرفه ، ما هو أكيد ، وما لا أستطيع ان أنكره ، وما لا أستطيع ان أرفضه – هذا هو 'لهم' . أستطيع ان أنفي كل شيء في هذا القسم من أقسامي ، الذي يعيش على حنين غامض ، ما عدا هذه الرغبة في الوحدة ، هذا 'الشوق الى الحل' ، تلك الحاجة الى الرضوح والتأكد . أستطيع ان أثبت بطلان كل شيء يحيط بي في هذا العالم ، بما يشبه الى " او يسماني " ما عدا هذه الفوضى ، ولست هذه الفرصة الساندة ، والتساوي المقدس اللذين من القوضى . ولست اعرف هل ان لهذا العالم معنى هو أبعد من المالم ، ولكنني اعرف أنني لا أعرف ذلك المنى ، وانه من المستحيل عليّ الآن ان اعرفه . فإذا يكن ان يعني بالنسبة لي 'لعنى الذي يكن خـسـارج وضميقي ؟ أستطيع ان افهم بقياس ما هو بشري فقط . فما أله – ما يقاومني – هذا هو ما افهمه . وهذان اليعنيسان شروقي الى 'عاطق والوحدة' ، واستعماله تقويض هذا 'العالم الى مبدأ مقبول مقبول – اعرف جيداً انني لا أستطيع التوفيق بينهما . فاية حقيقة اخرى أستطيع ان أقر بدون ان أكذب ، بدون ان آتي بأمل ليس عسدي شيء منه ولا يعني شيئاً ضمن حدود وضميقي ؟

لو كنت شجرة بين الاشجار ، قطرة بين الجيومرات ، فقد كان سيصبح طله الحياة معنى ، 'و ان هذه المشكلة لن تنهض' ، اذ انني كنت سأنتهي الى هذا 'العالم' . يجب ان أكون هذا العالم الذي أقف الآن ضده بسبب ادراكي الكامل وإصراري الكامل على المألوف . وهذا السبب

المضحك هو الذي يجعلني أقف ضد كل الحقيقة ، ولا يمكنني ان اشطبه بحرة قلم . يجب ان احفظ بسا اعتقد انه حقيقي . ويجب عليّ ان ادعم ما يلوح لي وارضعاً حق ولو كان ضدي أنا . وهل يؤلف أساس ذلك الصراع ، ذلك الافتراق بين العالم وذهني ، غير إدراكي له ؟ فإذا أردت لذلك الاحتفاظ به ، فيمكنني ان أفعل ذلك بواسطة إدراك مستمر ، مستعان دائماً متوفر أبداً . هذا هو ما يجب ان أتذكره في هذه اللحظة . وهنا تعود اللاجدوى ، الراضعة ، ومع ذلك التي يصعب الفوز بها ، الى حياة الانسان لتجد موطنها هناك . وهنا ايضا ، يستطيع الذهن ان يترك طريق الجهود الواضح ، ذلك الطريق الكئيب المحمل للفقر . ويظهر هذا الطريق الآن في الحياة اليومية ، انه يوجد في عالم الصغير غير المعروف - هو - ولكن الانسان صار يبدسه بثورته وبوضوحه . لقد نسي كيف يأمل . وجهنم الحاضر هي ملكته اخيراً ، وصارت المشاكل كلها تستعيد ارهاق حافاتها الحسادة ، وصار الدليل الجرد يتراجع امام شمرة الأشكال والألوان ، والصراعات الروحية صارت تنجسد وتعود الى الملجأ التمس ، والرائع ، في قلب الانسان . ولكن شيئاً من ذلك لم يستقر او يحل ، وانما تحولت أشكالها بأجناسها . فهل يوث المرء ؟ يتخلص بالقوة ؟ ويعيد بناء هيكل من الأفكار والأفكار يكون مؤيداً له ؟ ثم ، بالمعكس ، هل سيقبل المرء ذلك الرهان الذي يترك القلب ، المعجب ، اللاجدوى ؟ دعنا نتم بمجهود نهائى في هذا الصدد ونخرج بكل استنتاجاتنا . ستعود الحجة ، والجسد ، والخلق ، والفعالية ، والنبل البشري الى استئناف أمكنتها في هذا العالم الجنون . وسيجد الانسان هنالك أخيراً ، مرة اخرى ، خير اللاجدوى ، وخير الاكثرات ، اللذين يطعم بهما عظمتهم .

دعنا نمر ثانية على الطريقة : انه امر راجع الى الاصرار المستمر . ان الانسان اللاجدي يواجه الاغراء في نقطة معينة على طريقه . ولا يعلم التاريخ امثلة على ذلك من اديان او انبياء ، حتى بدون آلهة . المطلوب منه ان يقفز . وكل ما يستطيع ان يقفز . وكل ما يستطيع ان يرد به هو انه لا يفهم ، وان الامر ليس واضحا . انه ، حقا ، لا يريد ان يفعل اي شيء غير ما يفهمه تماما . انه متأكد من ان هذه هي خطيئة الضرور ، ولكنه لا يفهم فكرة الخطيئة ، وهو متأكد من ان جهنم قد تنتظره ، ولكنه لا يملك الجلال الكافي ليرى ذلك المستقبل الغريب ، وهو متأكد من انه سيفيق الحياة الخالدة ، ولكن هذا يابح له اعتباراً كسولاً . هنالك محاولة لجعله يعترف بجرمه . وهو يشعر بانسه بريء . الحق ان هذا هو كل ما يشعر به ، برأيه التي لا يمكن تبديلها . وهذا هو ما يسمح له بكل شيء . ولهذا فان ما يطلبه من نفسه هو ان يعيش فقط بما يعرفه ، وان يحب نفسه ما هو اكيد وألا يجربها هو غير اكيد . ويقال له انه ليس هنالك شيء هو هو . ولكن هذا يجد ذاته هو اكيد ، وهو معني بهذا ، فهو يريد ان يرى اذا كان يمكننا ان يعيش بدون اي نقض .



'استطيع الآن ان تتأمل في فكرة الانتحار . لقد توفر حق الآن شعور بالمل 'لممكن اعطاؤه . وفي هذه المرحلة يتم عكس المسألة . كانت في السابق فكرة إيجاد ما اذا كانت الحياة تتطلب ان يكون لها معنى لكي تماش . ويتضح الآن ، بصورة عكسية ، اننا تماش بصورة افضل اذا لم يكن لها معنى . فمعيش تجريبية ، حياة معينة ، هو قبولها تماما .

والآن ، فلن يعيش احد هذا المصير ، عالمًا بأنه لا يجد ، ما لم يحاول ان يفعل كل شيء يؤدي الى اخضاع تلك اللاجندوى لنور الادراك . فنفي احد طرفي التناقض الذي يعيش فيه يشبه التخلص منه . والناء الثورة المبركة هو افعال المشكلة ، وهكذا يتم حل فكرة الثورة الدائشة الى التجربة الفردية . والعيش هو ابقاء اللاجندوى على قيد الحياة . وابقاء اللاجندوى على قيد الحياة هو ، قبل اي شيء آخر ، التأمل فيها . وبمكس ما يقوله بوريديس ، نجد ان اللاجندوى تموت فقط حين تلقت عنهما ، وهكذا فان الثورة هي احدى المواقف الفلسفية الوحيدة المتأسكة . انها الواجبة الدائشة ، بين الانسان وغرضه ، والاصرار على شفافية ووضوح مستحيين . وذلك الموقف يتعدى العالم من جديد في كل ثانية . وكما افاح الخطر للانسان الفرصة الفذة ليتم بظفنه ، فان الثورة الميتافيزيكية تجعل ذلك التيقظ يشمل التجربة كلها . وذلك هو مشول الانسان الدائم امام صني نفسه ، وهو ليس طموحاً ، لأنه خال من الامل . ان تلك الثورة هي يقين المصير الساحق بسدون الاستسلام الذي كان يجب ان يراقق ذلك اليقين .

وهنا يمكننا ان نرى الى اي حد تعتمد التجربة الالاجندية عن الانتحار . وقد يظن ان الانتحار يتبع الثورة ولكن ذلك ظن خاطيء . لأنه لا عمل للتبعية المنطقية للثورة ، وانما هو المكس ، وذلك بموجب القبول الذي يفترضه مقدماً . فالانتحار ، مثل النفرة ، مقبول حين يكون متطرفاً . كل شيء ينتهي ويود الانسان الى تارجه الاساسي . انه يرى مستقبله — ذلك المستقبل الفذ البشع — وهو يهرج اليه . والانتحار ، بطريقة ، يحل اللاجندوى . انه يضيق الخناق على اللاجندوى بنفس الموت .

و لكنني اعرف انه من اجل ان يظل المرء حياً ، لا يمكن حل الالجدوى .
انه يتخلص من الانتحار الى الملد الذي يكون فيه ، في الوقت نفسه ،
بقطة ورفضاً للموت . انسه ، في الملد المتطرف من الافكار الاخيرة
للانسان المحكوم ، رباط المذاهب الذي يراه ، رغم كل شيء ، على بعد عدة
باردات ، على حافة سقطته المدروجة . والحق ان نقيض الانتحار هو الانسان
المحكوم عليه بالموت .

تلك الثورة تهب الحياة قبيتها ، وحين تنتشر لتشمل طول الحياة
كله ، فانها تهب تلك الحياة روعتها . والشخص الذي لا تحجب رؤيته
'لطبيب لا يجد منظرأ أبى من منظر الاوراك الذي يمالج واقعاً هو
وراء حدوده . وليس هنالك ما يضارع بصير الاكبرياء البشري ' كما ان
عجالة الانتفاض منه لا تجدي نفعا . والاضبط الذي يفرضه الذهن على
نفسه ، والارادة المستدعاة من لا شيء ، والصراع وجهاً لوجه ، كل تلك
الامور تتميز بصفات غير عادية . وافتقار ذلك الواقع الذي تولف
لابشريته روعة الانسان هو امر اقرب الى افتقار الانسان نفسه . وهنا
افهم لماذا اجد ان المقائد التي تقسو لي كل شيء تصممني انا في الوقت
نفسه . انما تخفف صني عبء حياتي ، بيد انه من الواجب عليّ ان احل
هذا المعبء وحدي . وفي هذه الحالة لا يستطيع ان اقصور ان المتأفزينكية
الشكوكية يمكن ان ترتبط بأخلاقية النبد .

الادراك والثورة ، هذان للرفضان هما نقيض النبد والتخلي . وكل شيء
غير مسلم ، ومنفعل في القلب البشري يسرع بها ، على التقيض ، بحياته
هو . ومن الامور الجوهرية ان يوت الانسان بفسير رضه وبدون ان

يكون ذلك بارادته . فالانفجار هو قبرة . والانسان الالاجدي لا يستطيع إلا ان يستنفذ كل شيء الى نهايته المرة ، ويفرغ نفسه . والنفاهة هي قوبره المتطرف ، وهو يحافظ على ذلك باستمرار بالجهود الذي يبذله وحده ، لأنه يعرف انه في ذلك الادراك ، وبذلك الثورة اليومية ، انما يقدم البرهان على حقيقة الوحيدة ، التي هي التحدي . وهذا يمثل النتيجة الاولى .

* * *

وإذا كنت ساطل في ذلك الموقف المعد سابقاً ، الذي يتألف من الخروج بكل الاستنتاجات ، (ولا شيء غيرها) ، تلك الاستنتاجات التي تشمل عليها المكرة المكشفة حديثاً ، فاني أواجه بذلك تمارضاً ذاتياً . ولكي أظل خالصاً لتلك الطريقة ، فليس لديّ ما يكتفي ان اقبل بالنسبة لمشكلة الحرية الميتافيزيكية . ان معرفة كون الانسان حراً او غير حر ، أمر لا يعني . أستطيع فقط ان أجرب حربي أنا . ولا أستطيع ، بالنسبة لحربي هذه ، ان احصل على أفكار عامة ، وإنما على بعض الدارك الواضحة القليلة . ان مشكلة - 'طرية بذاتها - هي مشكلة لا لا معنى لها . لأنها مرتبطة بطريقة مختلفة بمشكلة الله . ان معرفة كون الانسان حراً او غير حر تشمل على معرفة ما اذا كنت له سيد . واللاجدي المتعلقة بهذه المشكلة تنبثق من ان الفكرة ذاتها التي تجعل مشكلة الحرية ممكنة تسلبها في الوقت نفسه من كل معناها . لأنه بوجود الله لا تكون هنالك مشكلة الحرية بقدر ظهور مشكلة الشر . وانت

نعرف ببديل ذلك : فنحن اما ان نكون ضير أحرار وان يكون الله
القوي القوي مسؤولاً عن الشر ، او ان نكون أحراراً ومسؤولين ،
ولكن الله ليس قوياً قوياً . ولم نصف براعة وججج البساحيين شيئاً
جديداً ، كما انها لم تنقص شيئاً من حدة هذا التناقض .

ولهذا السبب لا يمكنني ان أحرار في تنظيم ، او تعريف ، لفكرة
تحتوي وتقد معناها حالاً تخرج عن اطار الإشارة الى تجربتي الفردية .
انني لا أستطيع ان أفهم اي نوع من الحرية يمكنني ان أحصل عليه من
كائن أسى ، فلم أعد أميز بين الطبقات . والمفهوم الوحيد الذي أستطيع
ان أحصل عليه للحرية هو مفهوم السجنين او الفرد وسط الدولة . والحرية
الوحيدة التي أعرفها هي حرية التفكير والفعالية . فاذا ألغت اللاجندوى
كل فرضي في الحرية الأبدية ، فإياها من المساحية الاخرى قيد وتنظم حرية
فمايلي . وهذا 'الحرمان من العمل والمستقبل يعني زيادة في امكانيات
استعمالي' لخاص .

يعيش الانسان المعادي ، قبل مواجهته اللاجندوى ، بالغايات ، بالاهتمام
بالمستقبل ، او بالتبوير (بصرف النظر عما هو او ماذا) . انه يزن
فرصه ، ويؤمل في - يوم ما - ، سواء كان ذلك تقاعده او جهود
أبنائه . وهو ما يزال يظن أنه من الممكن توجيه شيء ما في حياته .
والحق انه ينصرف وكأنه حر ، حق لو كانت كل الحقائق تناقض تلك
الحرية . ولكن الأمور كلها تنقلب رأساً على عقب بعد اللاجندوى .
اما تلك الفكرة - - انني أكون - وطريقي في التصرف ، كان لكل
شيء معنى وحق اذا كنت أحياناً أقول انه لا معنى هنالك في كل

شيء ، - فكل ذلك يصبح كاذباً بطريقة مدروسة ، بلا جدوى الموت المتوقع . وللتفكير في المستقبل ، اي وضع التسيّات ، وتفضيل امور معينة - ذلك كله يفترض مقدماً اعتقاداً بالحرية ، حتى اذا كان له في بعض الاحيان يتأكد من أنه لا يشعر بها . بيد انني في تلك اللحظة أدرك جيداً ان الحرية هي أسعى ، الحرية التي ستكون ، والتي تستطيع وحدها ان توفر أساساً لحقيقة ما ، ليست موجودة . الموت هو الواقع الوحيد . أما بعد الموت ، فالأمر يكون أسوأ . فلست حتى ذلك حراً في ادامة وإبقاء نفسي ، وإنما أنا عبد ، وفوق اي شيء آخر ، عبد بدون أمل في الثورة الأبدية ، بدون اي إجراء الى الاحتقار . ومن الذي يستطيع ان يبقى عبداً بدون ثورة ، وبدون احتقار ؟ وأية حرية يمكن ان تكون هنالك ، بالمعنى الاتم ، بدون التاكيد على أبديتها ؟

ولكن الانسان اللاجدي يدرك في الوقت نفسه انه كان حتى الآن مرتبطاً بأدعائه ذاك بالحرية . وكان يعيش على وهم ذلك الادعاء . لقد عرفه ذلك من ناحية معينة . وقد كيف نفسه مع متطلبات غاية معينة يريد تحقيقها ، الى المدى الذي تصور به غايته في الحياة ، وصار عبد حريته . وهكذا فلا يمكنني ان أتصرف بالكثير من كوفي الوالد (او المهندس ، او زعيم الأمة ، الكاتب في دائره البريد) الذي أعددت نفسي لكي أكونه . انني أظن انني استطيع ان أختار ان أكون ذلك ، وليس شيئاً آخر . وأظن ان طغي هذا يتم بصورة غير مدركة . ولكنني أدمم ادعائي في الوقت نفسه بعتقدات من هم حولي ، بقرضيات محيطي البشري (فالآخرين متأكدون من كونهم احراراً ، وذلك احواله البهجة

تصيب بالعدوى (١) ومنها ظل المرء بعيداً عن أية فرضية ، اخلاقية او اجتماعية ، فانه يتأثر بها جزئياً ، بل نه ، بالنسبة لافضلها (فهايك فريضات جيدة واخرى رديئة) وكيف حياته وفقاً لها . وهكذا فان الانسان الالاجدي يدرك أنه لم يكن حراً بالفعل . والأوضح اكثر ، فاقول انه الى المدى الذي آمل به ، ، او الذي أفتق به بشأن حقيقة قد تكون نقيّة بالنسبة لي ، بشأن طريقة في الكينونة او الخلق ، الى المدى الذي أرقب به حياتي وأثبت بذلك اني أقبل ان يكون لها معنى ، فاني أخلق لنفسي حواجز أضغ حياتي بينها . اني أميل بالفعل الى عدد كبير من بيروقراطيي الذهن والقلب الذين علاوني فقط بالاشتراز ، والذين كان انهم الوحيد ، كما أرى الآن بوضوح ، انهم أضعدوا حرية الانسان مأخذاً جاداً .

الالاجدى تدني شيئاً بهذا الخصوص : انه ليس هنالك مستقبل . ومن الآن فصاعداً ، سيكون هذا هو سبب حريقي الداخلية ، وسأستخدم مقارنتين هنا . ولنبدأ بالتصوفين ، فهم يجدون طرية بالتخلي عن انفسهم ، فيبقداهم انفسهم في الفهم ، ويتقبلهم قواعده ، يصبحون احراراً سرآ . وهم بالمبودية التي يتقبلونها طوعاً ، يحصلون على استقلال اعرق ، ولكن ما الذي تمنيه تلك طرية ؟ من الممكن ان يقال ، قبل اي شيء آخر ، انهم يشعرون بانهم احرار بالنسبة لانفسهم ، ولكنهم ليسوا احراراً بمعنى التحرر . والانسان الالاجدي ، كذلك الذي يتجه تماماً الى الموت (الذي اعتبره هنا أشد الامور الالاجدية وضوحاً) يشعر بالانطلاق من كل شيء خارج ذلك الانتباه المنغل المركز فيه . انه يتمتع بالحرية بالنسبة للتواعد المألوفة . ويمكننا ان نرى هنا ان الافكار البدائية

للفلسفة الوجودية تحتفظ بكل قيمتها . والعودة الى الادراك ، اي الخلاص من نوم الحياة اليومية ، تمثل الخطوات الاولى نحو الحرية اللاحدية . ولكن ذلك يشير الى التبشير الوجودي ، بالإضافة الى تلك للفتنة لزوجة التي يفتلها الادراك أساسياً . وبنفس الطريقة (وهذه هي الشرارة الثانية) ، فان عبد الماضي لم يكونوا ملك انفسهم . ولكنهم عرفوا تلك الحرية التي تتألف من عدم الشعور بالسرورية ^(١) . فسان للموت يسدين نبيلتين ايضا ، ذ انهما بينا تسحقان ، فاجها تهابان الحرية .

ان 'خبرة في ذلك اليقين الذي لا قهر له ، والشعور به ، ذلك بالبعد الكافي عن اجزاء بحيث يستطيع الرء ان يريها ويرها بنظرة اوسع - هذا كله يشتمل على مبدأ التحرير . ولمثل هذا الاستقلال الجديد حدد زمني معين ، كاية حرية من حريات الفعلية . ولكن هذا لا يمنع صكاً بالابدية ، وإنما يحل محل اوهام الحرية ، التي انقطعت كلها بالوت . ان المصير الحاضر المقدس الذي يتوفر للمحكوم بالاعدام الذي تفتح امامه ابواب 'السجن في فجور مبكر مدين ، ذلك الاهتمام الذي لا يصدق بالنسبة لكل شيء ما عند' لعب الحياة الخالص - هنا يتضح ان الموت والتفاهة هما مبادئ الحرية الوحيدة المقولة : تلك التي يستطيع القلب البشري ان يحريها ويمسها . وهذه هي النتيجة الثانية . وهكذا

(١) 'نوى معنى هذا بتأريده لحقائق ، وليس باعتدالو الصمة . فالانسان اللاحدي هو عكس الانسان 'الراضي .

يرى الانسان الالاجيدي كوننا ملتبها خالياً من الشهور ، شفافاً وحدوداً ، لا شيء فيه ممكن ، ولكن يعطى فيه كل شيء ، ووراءه يكون كل شيء انهاراً ولا شيئية . يستطيع جيلنا ان يتقبل مثل هذا الكون ويستمد منه قوته ، ورفضه لامل ، والدليل الراجع على حياة خالية من التمزقة .

* * *

ولكن ماذا نقى الحياة في مثل هذا الكون ؟ لا شيء في الوقت الحاضر ، ولكننا نعي "الا" كبراث بالنسبة للمستقبل ، لرغبة في استمداد كل ما يعطى . ان الاعتقاد بمعنى الحياة يعني دائماً للقيم واختياراً ، وهو يعني تفضيلنا . ولاعتقاد باللاجيدوى ، طبيقاً لسبقنا ، يعلم المكس ، ولكن هذا يستحق ان نسحبه .

ان معرفة ان الانسان يستطيع او لا يستطيع ان يعيش بدون نقص هو كل ما جدي . اني لا اريد ان اخرج من عمقي . وماذا تم اعطائي هذا المظهر "طبيائي" ، فهل يستطيع ان أكيف نفسي له ؟ والآن ، فسان الاعتقاد باللاجيدوى ، بواجبه هذا الاهتمام "خاص" هو امر يشبه استبدال عدد التجارب بنوعيتها . فاذا اقتضت نفسي بأنه ليس لهذه الحياة من مظهر آخر غير مظهر اللاجيدوى ، واذا شمرت بأن توازننا كلها يعتمد على تلك المعارضة الدائمة بين ثورتي المبركة والظلام الذي تصارع فيه ، واذا اقررت بأن حربي ليس لها اي معنى الا بملاقمتها بالهبر المحدود ، فيجب عليّ ان اقول ان المهم ليس افضل العيش وإنما استمه . وليس

لي ان انسامل عما اذا كان ذلك عاديا او مثيراً للاشمئزاز ، بديعاً و كريماً . انني هنا وبصورة نهائية أتخلى عن احكام القيمة من اجل الاحكام الحقيقية . وعلى فقط ان استخرج النتائج مما مكتني ' ان أراه ، وألا اجرب بما هو غرضي . لأنني اذا فرضت ان العيش بهذه الطريقة ليس امراً مشرفاً ، فان التصرف الصحيح الحقيقية هو الذي سيدفعني الى ذلك الموقف غير المشرف .

أشد الحياة و الحق ان هذه القاعدة و بمعناها الواسع ، لا تعني شيئاً . أما تتطلب تعريفاً . ويلوح لها قسماً بأن فكرة العدد لم يتم بحسبها بصورة كافية . ذلك لأنها قد تتجانب جهة ، تبهره من لتجبه به البشرية . وليس لقاعدة الانسان في السلوك ، وليران قسمه ، اي معنى الا خلال عسدد وتتنوع التجارب التي توفر له ان يراكها . والآن ، فان ظروف الحياة 'طبيشة' تفرض على اغلبية البشر نفس العدد من التعارب ، وبالتالي نفس التجربة العميقة . ثم انه لا بد ان يكون هنالك دائماً اعتباراً لمساهمة الفرد الطوعية ، المنصر - المطلق - فيه . ولكنني لا استطيع ان احكم على ذلك ، ودعني اكرر ان قاعدتي هنسا هي ان استمر مع الدليل المباشر . انني ارى ، اذن ، ان الميزة الفردية في نط مالوف عسام من الاخلاق لا تكن في الاهمية المثالية 'للمادة' بجادته الاساسية ، ونسا في حو التجربة الممكن قياسها . ولكي توسع الامر قليلاً ، نجد أنه قد كان لليوفانيين القدماء نط الكسل والفرارح ، تماماً كما تملق اليوم بنمط العمل ثنائي ساعات . ولكن اشخاصاً كثيرين بين اولئك الذين تمل حياتهم أشد المأساة يملوننا تنبأ بأن تجربة أطول تغير قائمة القيم هذه . انهم يملوننا تنخيل ذلك المعاصر في 'الحياة اليومية' الذي يحطم كل الارقسام

القياسية خلال عدد التجارب وحسب (اني أتعهد استخدام هذا المصطلح الرافضي) ، وهكذا يفوز بنمط اخلاقيته هو ^(١١) . ولكن دعنا نتجنب الرومانيسكية ونسأل انفسنا فقط ماذا يمكن ان يعني مثل هذا الموقف بالنسبة لانسان قرر في ذهنه ان يقبل رهانه وان يلاحظ بشدة مسا^٢مته انه يتحل قواعد اللعبة ؟

ان تحطيم كل الارقام القياسية هو اولا ، وقبل كل شيء آخر ، مواجهة العالم في اوسع ما يمكن ان يتوفر من المناسبات . فكيف يمكن ان يتة هذا بدون متناقضات ، اللعب بالكلمات ؟ لأن الالاجدري ، من ناحية ، تعلم المرء ان كل التجارب غير مهمة ، كما انها من الناحية الاخرى تحفره نحو اكبر عدد من التجارب . فكيف لا يفعل المرء كما فعل عدد كبير من اولئك الاشخاص الذين تحدثت عنهم - فيبحثار شكل الحياة الذي يوفر له اعظم ما يمكن الحصول عليه من تلك المادة البشرية ، وبذلك يأتي بيزان للقيم يدعي المرء من 'الاحية الاخرى بأنه يرفضه ؟

ثانية ، نجد أن الالاجدري وحياتها المتناقضة هي التي نعلمها . والخطأ هو الظن بأن عدد للتجارب ذاك يعتمد على ظروف حياتنا ، في حين

(١) العدد احيايا يولف النوع . واذا كنت سأتقبل آخر ما أعادت وضعه النظرية العلمية فاني سأجد ان المادة كلها تتألف من مراكز للطاقة . وكثرة ارة قوة هذه المراكز تجعل خصائص اكثر او اقل بروزا وأهمية . فمليون من الارباعات وايز ن واحد يحلفان ليس بالعدد وحسب رتبا^٣النوع ايضا . ومن السهل نقل ذلك الى نطاق التجربة البشرية .

أنه يعتمد علينا فقط . وعلينا هنا . انت نكون مبائنين في التبسيط .
 فالعالم يقدم لشخصين يعيشان نفس العدد من السنوات نفس العدد من
 التجارب . والامر يتوقف علينا نحن لكي نذكرها . ان نقطة المراء لحياة ،
 لثورته ، لحريته ، الى أبعد مدى ، هو العيش ، الى أبعد مدى ، وجيئنا
 بتحكم الوضوح لا يكون ميزان القيم مجديا ، دعنا نبسط الامر اكثر .
 دعنا نقل ان المقبة الوحيدة ، النقص الوحيد الذي سيبد ، يتألف من
 الموت قبل الاوان . وهكذا فلا عرق ، ولا عاطفة ، ولا انفعال ، ولا
 تفصعية يمكن ان تساوي في عيني الانسان للاجدي (حق اذا كان يريد
 ذلك) بين حياة مدركة تستمر اربعين سنة ، ووضوح ينتشر ليشمل
 ستين سنة ^(١) . الجنون والموت هما الامران اللذان لا يستطيع ان يفعل
 شيئا أمامها . والانسان لا يختار . ولللاجدي والحياة الاضافية التي
 تتضمنها ، لذلك لا قمتعمان على ارادة الانسان ، وانما على تقيض تلك
 الارادة ، أي الموت ^(٢) . واذا نحن وزنا كلامنا بمعنى فاننا لنجد ان
 المسألة هي مسألة حط ^(٣) . وعلى المراء فقط ان يكون قادراً على

(١) نفس التامل بالنسبة لفكرة مختلفة ، تلك هي فكرة الاشئية 'الابدية'. وذلك لا يضيف
 شيئا ولا يقيص شيئا قط من الواقع . نجد في التجربة السايكولوجية لاشئية 'ان اعتبار ما
 يحدث خلال أفقي سمة هو 'الذي يحمل لاشئنا مسمى . وللاشئية الابدية ، في راحة من
 مظاهرها ، تتألف بالصباط من مجموع احياة التي هي ليست حياتنا نحن .

(٢) هذه الارادة هي الوسيط هنا فقط ، وهي قبل الى الاحتفاظ بالادراك . وهي تعطي
 صبطا للحياة ، وهذا أمر جميل .

(٣) 'استخدام السيارة بكامله وموته في مثل هذه السن أمر يقتضي صفة التجربة حتى على هذا
 الجانب من أفكاره ، الذي تصعب تجربته بدون حدوث الموت اللاجدي ، وبذلك يكون قد
 جرب كل ما قاله بالفعل . المترجم .

تقبل هذا . ولن يكون هنالك أي بديل قط لمشيرين سنة من الحياة والتجربة .

ادعى اليونانيون القدماء ، مع ما يتجلى في هذا من تعارض في مثل هذا السباق اليقظ ، بأن أولئك الذين ماتوا في شياهم كانوا يتمتعون بحب الآلهة . وهذا حقيقي فقط اذا كنت مستمداً للاعتقاد بأن دخول عالم الآلهة 'الضحك يعني فقدان أبداع المتع وأندما نفاء ، أي الشعور والشعور على هذه الأرض . ان الحاضر ، وتتابع الحاضر ، وتتابع الحاضر أمام النفس المدركة دائماً ، مما المثل الأعلى للانسان اللاعبدى . ولكن عبارة -- المثل الاعلى -- تلوح زائفة في هذا لفتار . الامر لا يتعلق حتى ولا باستعدده 'كن من وراء' بالمديحة الله : انه من عملية العقلية . ويعود الله ما في اللاعبدوى ، بعد ن يكون قد بدأ من نقطة معذبة للانشري ، في النهاية ان قلب السنة 'الهب المتوقدة في الثورة البشرية (١) .

وهكذا فانه استنتج من اللاحدوى ثلاث نتائج ، وهي ثوري ، وحداثي ، وانفعالي . ولواسطة فعملية الادراك فقط أحول الى قاعدة للمعاد ما كان سيصبح دعوه الموت وأنا أرفض 'الانتحار اني أعرف ،

(١) ما هم هو الناسك . ونحن تبدأ هنا بقبول المسالم . ولكن التفكير الشرقي يشير بأن الزر يستطيع ان يستمر في نفس الجهد المنطقي بالاختيار ضد العالم . وهذا هو أمر مشروع ، وهو يجب البحث سحيته وسدوده . بيد انه حين يتم تتبع نقي المسالم بنفس القوة فان الزر يحقق (بالنسبة لبعض المدارس الخاصة بالفلسفات الهندوسية الهندية) نتائج مماثلة فيما يخص لا كثرات الاعمال ، مثلاً ، وكبد أن جان غرنسيه يدرس في كتابه الهام - الاختيار - فلسفته صحيحة - الاكثرات - .

حقاً ، النبذة الكيفية التي تتردد في هذه الأيام . ولكن لنيّ كلمة أريد أن أقولها : إنها ضرورية . فحين يكتب نيّته : - يلوح بوضوح ان الشيء الرئيسي في السماء وعلى الارض هو الاطاعة دائماً وفي التجسّاه واحد : فبعد أمد طويل سيُنتج شيء يستحق من أجله ان تماش الحياة على هذه الارض ، شيء مثل الفضيلة ، او الفن او الموسيقى او الرقص او العقل ' و الذهن - شيء يحول الاشكال ، شيء رقيق ، جزون و او مقدس و - فانه يشير بوضوح الى قاعدة أخلاقية بارزة متميزة حقاً . ولكنه يشير أيضاً الى طريق الانسان الالاجدي . فاطاعة اللهب هي في الوقت نفسه أسهل وأصعب شيء يمكن عمله . وعلى كل حال فمن الخبير للانسان ' ان يحكم على نفسه بين حين وآخر . وهو وحيد في استطاعته ان يفعل ذلك .

ويقول آلان - ان الصلوات تكون حين يهبط 'الليل على المكر . ولكن الذهن يجب ان يواجه الليل - وهذا القول الأخير هو جواب المتصورين والرجوعيين . أجل ، حقاً ، ولكن ليس ذلك الليل الذي يولد تحت الأجفان 'لنغمة وخلال ارادة الانسان فقط - الليل المظلم 'الروحى الذي يستدعيه الذهن ليفرح فيه ، فاذا كان واجباً على الذهن ان يواجه ليلاً ، فليكن ليل اليأس الذي يظل واضعاً - الليل التقاطي ، بقطة الذهن ، الذي يبرز فيه بعد ذلك السطوح الابيض العذري الذي يرسم الخطوط لكل موضوعي على ضوء الادراك . وعند تلك الدرجة يواجه المتساوي فيها منمكلاً متحمساً . ولا تعود المسألة بعد ذلك مسألة الحكم على الفترة الوجودية . وإنما تستعيد مكانها وسط مختلف أوران المواقف البشرية القديمة . لأنه اذا كان المشاهد مدرّكاً ، فان تلك الفترة

• سنظل تلوح له لاجديّة . ونقدّر ما تظنّ الفكرة أنّها تحلّ المتعارض ،
فإنّنا قمّده إلى حدّته . وهنا يكون كل شيء محدّدًا . وهنا يستعيد
كل شيء مكانه ويردّ العالم اللّاجديّ من جديد بكلّ روحته واختلافه .

ولكنّ التوقف أمر سيّء ، وكذلك لمن الصمب الاكتفاء بطريقة
واحدة في الرؤية ، والاستمرار بدونّ المتعارض ، وأمل المتعارض هو
أدقّ القوى الروحيّة ، وما سبق يعرف فقط طريقة في التفكير . بيد
أنّ المسألة هي أن يعيش المرء .



اللاه نسا ء الله محبري

« إذا آمن ستافروچين فهو لا يظن انه يؤمن .
وإذا لم يؤمن فهو لا يظن انه لا يؤمن . »

— الماخوذون — لدوستوفسكي

قال غزته و اختصاصي هو الزمن . وهذا هو حقا الكلام الالاجيدي .
تري ما هو الانسان الالاجيدي ؟ انه من لا يفعل شيئاً بالنسبة للأبدية ،
رغم أنه لا ينفياها . وليس هذا لأن الخين غريب عنه ، ولكنه يفضل
شجاعته وتعليه العقلي . فشجاعته تملسه ان يعيش بدون تقصص ، وان
يحتمل ما لديه ، وأما تعليه العقلي فانه يجبره بحدوده . وبوثوقه من
حريته المحدودة مؤقتاً وفراخ مستقبله ، وادراكه النفساني ، فانه يعيش
مغامرته ضمن فترة حياته . هذا هو حقه . وهذه هي فضيلته التي يجعها
من أي حكم عليها غير حكمه هو . فحياة أعظم لا يمكن ان تسعى
بالنسبة له حياة أخرى . لأن هذا يكون امراً غير عادل ، ولست
أتحدث هنا حق ولا عن تلك الأدبية المتأففة التي تسمى الاجيال القادمة .
لقد اعتمدت مدام رولان على نفسها ، وتم تلقين ذلك الاندفاع الاذوج
دوسا . وصار يسمد الاجيال ان تقتطف عبارتها ولكنها نسيت كيف

تحكم عليها. وهكذا فان مدام رولان لا تكثرث بالاسيال القادمة .

ولا يمكن ان تكون هنالك مسألة التقدم الأخلاقي . لقد رأيت أناسا يتصرفون تصرفا سيئا وهم يحملون اخلاقية عظيمة . واني لاحظت في كل يوم ان الأمانة لا تحتاج الى أية قواعد أو قوانين . هنالك شريعة اخلاقية واحدة فقط يمكن أن يعلها الانسان اللاجدي ، تلك التي لا تنفصل عن 'الله' ؛ تلك المفروضة فرضا . ولكن يحدث انه يعيش خارج ذلك الله . اما بالنسبة للاخلاقيات الأخرى (أعني اللااخلاقية أيضا) ، فالانسان اللاجدي لا يرى فيها شيئا غير التبرير 'ت وليس لديه ما يبرره . انني أبدا هنا من مبدأ برأته .

هذه البرادة تخيف . ان ايفان كارامازوف يقول باستغراب : « كل شيء مسموح » . وهذا ينطق باللاجدي أيضا ، بشرط ألا نأخذ ذلك بامني المادي . ولست أعرف هل تمت الاشارة بصورة كافية الى ان ذلك ليس انطلاقا للانتعاش أو النبطة ، وإنما هو اعتراف مريب بحقيقة . ثم ان البقية من الله يرب الحيسة متى أمر يفوق بكثير في جاذبيته القدرة على التصرف تصرفا سيئا بصحبة الأمان من العواقب . ولكن يكون الاختيار بين هذين الأمرين صعبا . ولكن ليس هنالك اختيار ، وهذا الجانب المرير . ان اللاجدي لا تحرر وإنما هي ترتبط . وهي لا تحول كل الفعاليات . وعبرة « كل شيء مسموح » لا تعني انه لا شيء هنالك ممنوع . ونقصي اللاجدي تمادلا على نتائج تلك الفعاليات . انها لا تمتدح البرية ، لأن مسدا سيكون طفوليا ، ولكنها قبل الى لوم تفاهتها . فإذا كانت التجارب كلها لا مكرثة فان تجربة الراجب

سنتكون مشروعة كاية تجريبية اخرى . فالفء يستطيع ان يكون فافلا
عبء خرافة .

• ترككز كل انظمة الاخلاق على ان للفعالية نتائج فجمعها مشروعة او
فلفيها . فالفءمن المشبع باللاجءوى يحكم فقط بان تلك النتائج فجب ان
فبعث بهءوء . انه مسعمء لءفع الفءمن . وبعبارة اخرى ؁ قء يكون ففالك
اشفاص مسؤولون ؁ ولكن ففس ففالك ففءفرون ؁ فف رافف ففا الفءمن .
وفف اففى الفلال ؁ فوافق ففل ففا الفءمن على اسعمءام الففرفبة الماففة
اساسا للفعالفة المسقمبة . الرمن فففل الزمن ؁ والفاة ففءم الففاة . وفف
ففا الففل المءوء ؁ وكذلك الفمل بالماكفالف ؁ فلوچ للانسان اللاءءى
انه لا ففكن الففء فافف ففءه فف ففسه ؁ مسا عءاء وفسوه . فافة قاعءة
اءن ففكن ان ففبف من النعام اللاممول ؟ المففقة الرءببة الفف قء فلوچ
له انها ففله فففا فف ففست من الامور الشكفة . انها فافف الى المفاة
وففقق فف الففر . ولا ففستفب الفءمن اللاءءى ان ففقق الفواعمء
الاخلاقفة فف ففاة ففبله المفل فف ففقق ان ففء الفوفففات وائفاس الففاة
البشرفة . ولففور الففلة الفالفة فف من ففا النمط . انها فففل اللاءءوى
باعطافا موقفا مفعفا وكذلك اعطافا حرارفا .

هل اءءاف الى فطور المكرة الفاففة بان المفل ففس بالفسرورة مفلأ
ففب الفباعه (وافل من ذلك ان امكن فف المام اللاءءى) وباف ففا
الفوفففات ففست فالفاف فافف ؟ والاضافه الى ان ففا ففطلب اسعمءاءا
مفعفا فافه ؁ مع اعفار الامور الاخرى ؁ ففكون الرء مفعفا فف ففستفب
من روسو ان الانسان ففب ان ففسر على اربع ؁ ورفن ففستفب من

نبحث ان الانسان يجب ان يسيء معاملة امه . وقد كتب كليب حديث يقول : ه انه لامر جوهري ان يكون المرء لا جدياً ، ولكن ليس من الضروري ان يكون غدوعاً . ، ويمكن للمواقف التي سالتاولا ان تحتفظ لنفسها بمنازها الكاملة فقط عبر بحث نقائضها . فالكاتب الصغير في دائرة البريد هو بمنزلة المفاتيح اذا كان الادراك صفة مشتركة بينهما . وفي هذا المجال تكون التجارب كلها لا مكثرة . وهناك بعض التجارب التي هي اما ان تخدم الانسان او لا تخدمه اذا كان مدركا . والا فليس لذلك اهمية : لان فشل الانسان يشتمل على حكم ، ليس على الظروف ، وانما على نفسه .

'اني' اختار فقط الناس الذين لا يهدفون الا الى توسيع انفسهم ، او الذين ارى انهم يقومون بتوسيع انفسهم . وليس لهذا مضامين اخرى . وهنا اريد ان اتحدث فقط عن عالم تكون فيه الافكار كالحياة خالية من المستقبل . فكل ما يعمل الانسان يعمل ويستلر بتقيد من الامل . والفكر الوحيد الذي هو ليس غير حقيقي هو ففكر عقيم . وفي عالم الالاجدوى تقاس قيمة فكرة ما او حياة ما بقومها .

اللون جواتيه :

اذا كان كافيا ان يجب المرء ، فان الامور ستكون سهلة جداً . فكلما احب اكثر زادت قوة الالاجدوى . ولا ينتقل دون جوان من امرأة الى اخرى لانه لا يملك الحب . ومن المضحك تصويره متصوفاً يبحث عن الحب الاكل . ولكن ذلك خطأ لانه يجهن بنفس الانفعال وفي كل مرة بكل نفسه بحيث انه يجب ان يكرر عطاهه وبجته العميق . ولهذا فكل

مرأة تأمل في ان تعطيه ما لم تعطه اياه ' بنة امرأة اخرى . ومن في كل مرة مخلفات ، ينتج عن فقط في جملة يشمر الحاجة الى ذلك التكرار . فتقول واحدة منهم : « واخيراً اعطيتك الحب . » قول يدهشنا ان يستقر دون جوان من هذا ؟ انه يقول : « اخيراً ؟ كلا ، ونا مرة اخرى . » ترى لماذا يكون ضروريا ان يحب المرء حباً نادراً ليتوفر له ان يحب كثيراً ؟

* * *

ترى هل ان دون جوان مصاب بالسوداوية ؟ ليس هذا محتملا . وان ألبا الى تفصيل الاسطورة . ولكن تلك الضحكة ، والمجرفة للسيطرة ، والعبث وحس المسح ، كلها امور واضحة مبطنة . وكل مخلوق مكتمل يميل الى مضاعفة نفسه ، وكذلك هو الامر مسح دون جوان . ولكن للسوداويين سبيلين في ان يكونوا كذلك : هم لا يعرفون ، او انهم يأملون ودون جوان يعرف ، كما انه لا يأمل . وهو يذكر المرء بآثله الفنانين الذين يعرفون حدودهم ولا يتخطونها ابداً ، وفي تلك الفترة المخرجة التي يقفون فيها موقفهم الروحي نجسهم يتمتعون بكل السهولة الرائعة التي يتصف بها العظام . وهذا هو التبوع حقاً : الذكاء الذي يعرف حدوده . ودون جوان لا يعرف السوداوية الى حد الموت الجسدي . وفي اللحظة التي يعرف فيها ذلك ، تندفع ضحكة وتجعل المرء يقتفر كل شيء . لقد كانت سوداوريا في اللحظة التي كان يأمل فيها . واليوم ، يجد على شفتي تلك المرأة المذاق المر ، المريح ، للمعرفة الوحيدة . مر ؟ قليلاً جداً . ذلك النقص الضروري الذي يجعل في الامكان ادراك السعادة .

من الريف ان تحاول ان ترى في دون جوان رجة لا ربي على ايدي رجال الدين . فالأمر السخيف الوحيد بالنسبة له هو الأمل في حياة أخرى . وهو ثبت ذلك لأنه يقامر بتلك الحياة الأخرى ضد السباه نفسها . فالنشوق الى الرغبة التي يقتلها الاشباح ، ومسألة الرجل الماجز جنسياً ، أمور لا تخصه . تلك هي من خصائص فارست الذي آمن بالله إيماناً كافياً ليجعله يبيع روحه للشيطان . أما بالنسبة لدون جوان فالأمر أشد بساطة . ان « برلادور » مولينا يرد دائماً على التهديدات بالجميع بقوله : « أية مهلة مطولة تمطيني ! » ومسا ياتي بعد الموت ثاقه ، واي تعاقب طويل للأيام لن يعرف كيف يكون حياً ! لقد تاق فارست الى آلهة الأرض ، ولم يكن على الرجل المسكين الا ان يد يده . وبلغ به الأمر انه باع روحه في الوقت الذي لم يكن في رسمه ان يسلمها فيه . أما بالنسبة للشبح فن دون جوان بالمكس يعر عليه ، واذا ترك امرأة فان ذلك ليس لأنه لم يمد يدها بعمرة مغلقة . فلهذا الجبهة مرغوبة دائماً ، ولكنه يشتهي أخرى ، ولكن كلا ، فهذا ليس الشيء نفسه .

تشبع هذه الحياة كل رغبة لديه ، وليس هنالك مسا هو أسوأ من فقدانها . وهذا الرجل الجنون هو رجل حكيم عظيم . ولكن الناس الذين يمشون على الأمل لا يعرفون في هذا المسالم الذي يستسلم فيه العطف للكرم ، ولطب الصمت الرجولي ، والمشاركة للشجاعة المتوردة ، وديرج البليغ الى القول بأنه « كان ضيقاً ، مثالياً ، او قديساً . » على المرء ان يقل من شأن المنظمة المهيمنة .

* * *

والناس قسّمهم بصورة كافية (ار تلك الانقسامات ، انقسامات المتشاركة في الائم ، التي تحيط من قيمة ما نعتجب به) خطيب دون جوان وتلك الملاحظة ذاتها التي يستخدمها مع كل النساء . ولكن ائم الأشياء بالنسبة لن يبحث عن العدد في هسراته هو اليقين من الثأر ، وما هي فائدة تعقيد كلمات السر التي وثق من نجاحها ؟ فلا أحد يعني اليأس . لا المرأة ولا الرجل . وانما يصنفون الى الصوت الذي يتلفظ بها . ان تلك الكلمات هي القاعدة والتقليد والجمالة ، وبعد ان تقال فلا بد من اتمام الشيء الاشد أهمية . ودون جوان مستمد بالفعل لاقام ذلك ، فلماذا يخلق لنفسه مشكلة في الاخلاق ؟ انه ليس مثل ه مانيار ه ميبوتز الذي يجلب على نفسه اللمة بسبب رغبته في ان يكون قديسا واطيعا بالنسبة له شيء يستثار ، ولديه جواب واحد فقط على الانعصب المقدس . ذلك هو الشرف الانساني . انه يقول للقائد : ه انا شريف ، و نفي لاحافظ على عهدي لاني قارس . ، ولكن من 'لحظا الفاضح ايضا ان نجمل منه لا اخلاقيا ، وهو في هذا المصدد و كاي فرد آخر ه ، علك الشريعة الاخلاقية ، شريعة ما يحب وما يكره . ويمكننا ان نفهم دون جوان فهما صحيحا فقط بالاشارة الدائئة الى ما يرمز اليه بصورة عامة : المفسد المصادي ورياضي الجنس . انه حقا مفسد عادي . '١٠' والفرق الوحيد هو انه مدرك ، وهذا هو ما يجعله لا مجديا . والمفسد الذي صار واضحا ، لن يتغير بسبب كل ذلك . فالافساد شرطه في الحياة ، ولا يتغير المرة الشرط والظروف أو يصبح افضل الا في القصص . ومع ذلك فيمكننا القول بأنه في الوقت

(١) بالنسبة الاكمل ، ومع اخطائه . فالوقف الصحيح يشتمل على الاصطلاح ايضا .

نفسه لا يتغير شيء قط ، ويتحول كل شيء . وما يدركه دون جوان في النعالية هو اخلاقية العدد ، في حين ان القديس ، بالعكس ، يبل نحو النوع . وعدم الايمان بالمعنى العميق للاشياء امر من خصائص الانسان الالاجدي . أما بالنسبة لتلك الوجوه الوردية ، او التي يرسم عليها المعجب فانه ينظر اليها ، ويحزنها ، ولا يتوقف عندها . والزمن يجاريه . فالانسان الالاجدي هو 'الانسان الذي لا يفصل عن الزمن . ودون جوان لا يفكر في و جمع و النساء' ، وأنا يستنفد عددهم ويستنفد مهمن فرصة في الحياة . فالجميع « يسمو الى حزالة القدرة على عيش 'الماضي' . ولكنه يرفض الاسف . ذلك الشكل الاخر من اشكال الأمل . انه لا يستطيع ان ينظر الى الضرور .

* * *

هل هو اناني بسبب كل ذلك ؟ ربما يكون كذلك ، بطريقته . ولكن من الضروري هنا 'يما' ان نتعالم . فهناك اولئك الذين وحدوا ليمشوا وارئك الذين وجدوا ليجروا . وسيكون دون جوان مبالاً الى قول ذلك على الاقل . ولكنه سيفعل ذلك بكلمات قليلة جداً لا يستطيع ان يجاز اكثر منها . لان الحب الذي نتحدث عنه هنا يتلبس بلبوس اومسام الابدية . وكما يعلمنا اختصاصير العاطفة كلهم ، فليس هنالك حب أبدي ، 'ال' الحب المورقل . وليست هنالك اية عاطفة بدون صراع . ومثل هذا 'الحب ينتهي فقط بالتناقض النهائي ، الموت . فأما ان يكون المرء فرح او لا شيء . وهنا ايضا ، توجد طرق عديدة للاتعمار ، واحداها التخلي الكامل عن الذات راسكارها . ويعرف دون جوان ، كما يعرف اي فرد

آخر ، ان هذا يمكن ان يكون مثيراً . ولكنه واحد من القلائد الذين يعرفون ان هذا هو ليس الشيء المهم . وهو يعرف ايضا ان اولئك الذين يدبرون ظهورهم للحياة الشخصية عبر حب عظيم رباً يريدون من غنى أنفسهم ، ولكنهم بالتاكيد يفكرون اولئك الذين اختارم حبهم . فلامر الزوجة العاطفية قلب متعلق بالضرورة ، لانه مبتعد عن العالم . عاطفة واحدة ، وتخلق واحدة ، ووجه واحد ، ولكن ذلك كله مستنفذ وما يشغل دون جوان هو حب يختلف تماماً ، وهذا الحب هو التعرير . انه يحلب معه كل الرجوة في العالم ، وينبتق ارتعاش هذا الحب من معرفته انه فان . لقد اختار دون جوان ان يكون لا شيئاً .

فالامر بالنسبة له هو ان يرى بوضوح . ونحن نغني بالحب ما يربطنا بخلاقات معينة فقط بالإشارة الى طريقة جماعية في الرؤية ، والكتب والاساطير هي المسؤولة عن تلك الطريقة . أما عن الحب فلست اعرف غير ذلك المريج من الرغبة والانعطاف والنكاه الذي يربطني بهذا المخلوق أو ذاك . وهذا المريج يختلف بالنسبة لشخص آخر . ولست املك الحق في ان اعطي تلك التجارب بنفسها بنفس الاسم . وهذا ايضا يستلني الزم من خوض تلك التجارب بنفس الحركات . وهذا ايضا ، يضاعف 'الإنسان' اللابدي ما لا يستطيع ان يرحمه . وهكذا فهو يكشف طريقة جديدة في الكينونة تحرره على 'أقل' كما تحرر أولئك الذين يقررون منه . وليس هنالك حب ذليل الا ذلك الذي يدرك نفسه باعتباره قصير العمر ، واستثنائياً . وكل ذلك الموت ، والمودة الى الحياة ، مجتمعة فيما يشبه الحزمة ، تولف 'زدهار الحياة بالنسبة لدون جوان . انها طريقته في العطاء

والاحصاء . وأدع تقرير ما اذا كان المرو يستطيع ، او لا يستطيع ان يتحدث عن الالمانية .

* * *

وهنا افكر في كل اولئك الذين يصرون بصورة مطلقة على ان دون جوان يجب ان يعاقب . ليس فقط في الحياة الاخرى ، وانفسا في هذه الحياة بالذات . انني افكر في كل تلك الحكايات والاساطير وضحكات السخرية من دون جوان حين يكون عجوزاً . ولكن دون جوان مستمد بالفعل . فليس تقدم السن وما يعنيه تقدم السن بالنسبة للرجل المدرك بالامر الدهش . بل انه مدرك لانسه لا يخفي رعب ذلك وما يشتمل عليه عن نفسه . لقد كان في ثينسا معبد مخصص للشيوخ . وكلت الاطفال يؤخذون اليه . أما بالنسبة لدون جوان ، فكما زادت سخرية الناس منه زاد بروز شخصه . وهو بذلك ينبذ الشخصية التي اضعافها عليه الرومانتيكيون . فلا أحد يريد ان يسخر من ذلك الدورن جوان المذنب الذي يثر للعطف . انه يحظى بالراه ، فهل ستفقه السماء نفسها ؟ ولكن ذلك ليس المسالة . ففي الكون الذي بلصحه دون جوان يجد ان السخرية هي ضمن ذلك الكون أيضاً . ولسوف يعتبر توجيه اللوم اليه امراً طبيعياً فتلك هي قاعدة اللعبة . بل ان من خصائص نبه انه تقبل كل قواعد اللعبة . ومع ذلك فهو يعرف انه على حق رانه ليس هنالك مجال لمناقشته فالصبر ليس عقوبة .

تلك هي جريته ، وكم من الاسهل ان نهمم لماذا يريد رجال الله ان

يرجعوا العقاب عليه . انه يحقق معرفة بدون اوهام ، وهذه المعرفة تنفي كل ما ييشرون به . فاطب والملك ، والفاية والاستفاد - تلك هي طريقته في المعرفة . (وهناك مغزى في تلك الكلمة الانجيلية التي تسمى الفصل الشهواني ومعرفة .) انه ألد أعدائهم ، الى درجة انه يعلمهم . ويورد مؤرخ أن يورلادر الحقيقي مات مقتولا بيد القسي الذين أراحوه ، وأن يضعوا سداً لافراط وإلحاد دون جوان الذي جعله مولده يوقن بالآيمان ، ثم أعلنوا أن الله قد صمقه ولم يثبت احد تلك النسبانية التريبة . كما لم يثبت أحد عكس ذلك . ولكنني استطيع ، بدون أن أتسامل عن إمكانية ذلك ان اقول انه منطقي . وأريد هنا فقط ان اتساول كلمة و مولد وان أنلعب بالكلمات : فقد كانت حقيقة العيش هي التي جعلته يؤكد برامته . ومن الموت فقط استوحى الذنب الذي صار اسطورياً الآن .

تري ماذا يعني ذلك القائد الصخري اكثر من هذا ؟ ذلك التمثال البارد الذي انطلق يتحرك ليماقب الدم والتجاعة اللذين تجرهما على التفكير ؟ كل قوى العقل الأبدى ، والنظام ، والاخلاقية المسامة ، والمظمة التريبة المتمثلة في الله القادر على الغضب ، كل تلك الامور تتجلى فيه . ان تلك الصخرة الضخمة التي لا روح لها ، ترمز الى القوى التي نفاها دون جوان الى الابد . ولكن مهمة القائد تقف عند ذلك الحد . ويستطيع الرعد والبرق ان يعودا الى السماء الاصطناعية لي استدعيا منها . وتحدث المأساة الحقيقية بصورة منفصلة عنها . كلا ، فلم يواجه دون جوان موته بسبب يد صخرية . انني اميل الى الاعتقاد بالشيخاعة الاسطورية ، بذلك الضحك الجنون الذي يصدر عن الانسان الصحيح فيشير به الها غير موجود .

ولكنني قبل اي شيء آخر ، اعتقد ان القائد لم يأت في تلك الليلة التي كان دون جوان ينتظر فيها عند انا ، وانه بعد منتصف الليل لابد ان يكون 'للمعد قد شر بالمرارة المزعجة' ، مرارة اولئك الذين كانوا على حق بان انني لا تقبل وصف حياته الذي قد يقول عنسه انه ففن نفسه في النهاية في احسد الاديار . وليس ذلك لان الجانب الاصلاحى من القصة يمكن ان يكون محتملا ، اذ اية حاية راح يطلبها من 'لله' وانما يرمز هذا الى النتيجة المنطقية من حياة مشبعة تماما باللاجدرى ، والنهاية العاقبة لوجود منصرف الى الباهج قصيرة العمر . وينتهى الاستمتاع الجسدى الى الزهد . ومن الضروري ان ندرك انها ربما يكونان مظهرين للحرمات نفسه . راية صورة رهيبة يمكننا ان نرسم أسوأ من صورة الرجل الذي يخونه جسده ، الرجل الذي لانه لم يمت في حينه ، يعيش المهزلة بينما هو ينتظر النهاية ، وجها لوجه مع ذلك الله الذي لا يعبده ، يخدمه كما خدم الحياة ، يركع امام الفراغ ، ويد يده الى سماء بلا تمييز ، يعرف ايضا انها بلا عحق ؟

انني ارى دون جوان في زبازنة احده تلك الاديار الاسبانية الضائعة بين التلال . واذا كان يفكر ويتأمل بأي شيء على الاطلاق فانه لا يتأمل في اشباح غرامياته الماضية ، وانما ، ربما عبر شق ضيق في الجدار الذي تنفحه الشمس بجرارتها ، في سهل سباني صامت ، في ارض خبيثة لا روح يرى فيها نفسه . ومع ذلك فيجب ان تفسد السقارة على هذه الصورة السوداوية المتألقة . أما النهاية الاخيرة ، المنتظرة ولكن غير المرغوبة ، تلك النهاية الاخيرة ، تستحق الاحتقار .

* * *

المراسم :

يقول هاملت : « انما المسرحية ، وبها سأقبض على دخيلة الملك . و
القبض ، هي الكلمة حقاً ، لأن الدخيلة تتحرك بسرعة او تنسحب الى
داخل اللذات . ويجب القبض عليها وهي طائفة ، في تلك اللحظة التي لا
يمكن الشعور بها الا بصورة ضعيفة ، والتي تنظر فيها الدخيلة الى نفسها
نظرة خاطفة . والانسان المادي لا يستمتع بالتباطؤ ، وانما ، بالعكس ،
يسرع به كل شيء الى الأمام . ولكن ، في الوقت نفسه ، لا يعجبه شيء مثل
نفسه ، خاصة امكانياته . ومن هنا ينبع اهتمامه بالمسرح ، بالعرض ، حيث
تقدم اليه معانٍ عديدة ، وحيث يستطيع ان يتقبل الشعور ، دون ان
يتقبل الاسى . ومثل ذلك ، على الاقل . يمكن ادراك الانسان اللامفكر ،
وهو يستمر في هروعه الى هذا الأمل او ذاك . ويبدأ الانسان اللامعدي
حين ينتهي ذاك ، حين يكف الذهن عن الاعجاب بالمسرحية ، ويدخل
فيها . والدخول في كل اشكال الحياة تلك ، وتجربتها بكل تنوعها ، يسو
الى منزلة القيام بها جميعا . ولست أقول هنا ان الممثلين بصورة عامة
يطبقون ذلك الدافع ، وانهم اناس لا يجدون ، وانما ان مصيرهم هو مصير
لا يجد قد يفتن ويسحر قلبا واضحا . ومن الضروري فهم هذا لكي نفهم
ما يلي ، بدون ان نخطيء في فهمه .

ان منطقة المثل هي منطقة 'لحدوث' الخاطف ومن المعروف ان شهرته
هي أقصر أنواع الشهرة . هذا هو على الأقل ما يقال في الحديث . ولكن
كل انواع الشهرة قصيرة العمر . ومن وجهة نظر سبريوس ، ستكون جميع
مؤلفات غوته منسية خلال عشرة آلاف سنة ، وسيلسى امه ايضا .

وعل حفة من رجال الآثار سيعثون عن الأدلة على وجود فترةنا . وقد كانت تلك الفكرة دائما تحتوي على درس . ان اننا اذا تأملنا فيها تأملا جادا ، نجدها تهبط بشاغلنا الى مستوى النسل العميق الذي يتجلى في اللاإكراهات . وهي ، فوق أي شيء آخر ، توجه اهتمامنا نحو ما هو أكيد — أي نحو المباشر . ونجسد بين كل انواع الشررة ان اقلها خداعا هي الشررة التي تقاش .

ولهذا فان المثل 'خيار الشررة المضاعفة' ، الشررة المقدسة ، المختبرة . وهو يستنتج من كون كل الامور ستوت يوما ما نتيجة هي افضل النتائج . والمثل ينصح او لا ينصح . ونجد ان للكاتب شيئا من الامل حتى اذا لم يئل الاعجاب ، فهو يفترض ان مؤلفاته ستشهد على ما كان عليه هو نفسه . أما المثل فهو ، على افضله ، يترك لنا صورة فورتوغرافية ولا شيء عما كان عليه هو نفسه ، حركاته ، وسكناته ، لهائه او اهتمامه بالحب ، يمكن أن يصل اليها . وبالنسبة اليه ، الا يعرفه أحد يعني انه لا يئل ، وألا يئل يعني الموت مائة مرة مع كل الخلوقات 'التي كان يمكن ان ياتي بها الى الحياة او يعيدها الى الحياة .

* * *

قلماذا يدعشنا ان نرى شررة خاطفة تضي على أشد الخلوقات قصرأ في عمرها ؟ لدى المثل ثلاث ساعات فقط ليكون فيها أياكو أو الليست أو بيسندر أو غلوستر . وهو في تلك الفترة القصيرة من الزمن يحلمهم

يأتون الى الحياة ويموتون على خسين ياردة مربعة من الالواح . فلم يسبق ان صورت اللاجندى بمثل هذه القوة وهذا التفصيل . فاي ايجاز موح اكثر من هذا يمكننا ان نتصور ؟ أفضل من هذه الحياة المحيية ، تلك لمساتر الاستثنائية النهائية التي تتكشف خلال بضع ساعات ضمن النطاق المسرحي ؟ ان سيجيسوندو لا يعني شيئاً خارج المسرح ، وبعد ساعدين ، يراه المرء وهو يمشى في المدينة ، وبعد ذلك قليلاً كانت الحياة حلاً . ولكن يأتي آخر بعد سيجيسوندو ، ويجل البطل الذي يماني من الشك محل الرجل الزنجر طلباً للانتقام . وهكذا ، بالانتقال الخاطف عبر القرون والاذمان ، يتقلبه الانسان كما يمكن ان يكون وكما هو ، يكون الممثل امثراك اكثر مع ذلك الفرد اللاعدي ، مع المسافر . فهو مثله يستنفد شيئاً ، وينتقل دائماً . انه المسافر في الزمن ، وهو على افضله المسافر الذي تتمليه الارواح . واذا اتيج لاخلافية المدة ان تجد لها برهاناً على الاطلاق فان ذلك يكون على ذلك المسرح العجيب . ومن المصعب بيان الدرجة التي يستفيد بها الممثل من الشخصيات ، ولكن هذا ليس الامر المهم . انه امر يتوقف على مدى معرفته للدرجة التي يجد بها شيئاً بينه وبين تلك الاعمار التي لا يمكن تمثيلها . وغالباً ما يحدث انه يحملها معه ، وانها تفيض الى ابد من الزمان والكان للذين ولدت فيها . انها تراق الممثل الذي لا يستطيع ان يفصل نفسه بسرعة من الاشياء التي كانها . ويحدث له في بعض الاحيان انه حين يده يده ليتناول قدمه ، يستمر في اداء الحركات التي مد بها هاملت يده الى القديح ليرفعه الى شفثيه . كلا ، ان المسافة التي تفصله عن الخروقات التي ترفض الحياة ليست كبيرة . بل انه ليمبر جداً ، في كل يوم ، عن تلك الحقيقة الروحية الفائلة بأنه ليس هنالك حد فاصل بين ما يريد الانسان ان يكونه وبين ما هو عليه .

وهو بأهنامه الدائم بالتمثيل لأفضل ، يوضح الى أي مدى يخاف الظهور الكينونية . لأن ذلك هو فنه - ان يتطسأهر بصورة مطلقة ، وان يبرز نفسه بالعمق الممكن في أشكال الحياة التي هي ليست ملكه . وفي نهاية مجهوده هذا تتضح مهمته : ان يكيف نفسه بكل مشاعره ليكرت لا شيئاً ، او ليكون متمدداً . وكلما ازداد ضيق الحدود المخصصة له خلق شخصيته ازادات أهمية موهبته ، سيموت خلال ثلاث ساعات تحت القناع الذي اتخذه لنفسه اليوم . وخلال تلك الساعات الثلاث عليه ان يحرب ويعبر عن حياة استثنائية كاملة . ويسمى هذا فقدان الذات لإيجاد ذات اخرى . وهو في تلك الساعات الثلاث يسافر عبر ذلك الذي الكامل الذي يستغرق الانسان الجالس بين المنفرحين حياة كاملة لقطعه .

* * *

والمثل بكونه مثقلاً لا هو قصير العمر ، يدرب نفسه تدريباً كاملاً على المظاهر فقط . والتقليد المسرحي يقول بأن القلب يعبر عن نفسه فقط عبر الحركات ، والجسد - او عبر الصوت ، الذي هو من الروح بقدر كونه من الجسد . وقصر قاعدة ذلك الفن على ان كل شيء يجب ان يضخم ويترجم الى الجسد . فإذا كنت من الضروري ان يجب المرء على المسرح كما يجب النساء حقاً ، وان يستخدم صوت القلب الذي لا يمكن تمويضه ، وان ينظر كما يتأمل الناس في الحياة ، فان كلامنا سيكون بالرموز . ولكن الصمت يجب ان يعمل نفسه مسوعاً هنا . والحب يتحدث بصوت أشد ، وحق اللاشركة والجرود يصبحسان رائحي

البروز . ويكون الجسم ملكاً . ولا يستطيع كل واحد ان يكون
 مسرحياً ، وهذه الكلمة المهمة بلوغم غير عادل تشتمل على جمالية
 كاملة واخلاقية كاملة . يصبح نصف عمر الانسان في ما يريد ان يمر
 عنه ، وفي النكوص ، والسمت . والفنان منا هو المتطفل . فاملل يقضي
 على السحر الذي كان يقيد تلك الروح للاستطيع الموظف اخيراً ان
 يتطلق على مسرحها . انما تتحدث في كل حركة ، وهي تعيش فقط عبر
 الميحيات والنداءات . وهكذا يخلق الممثل شخصه ليعرضها . انه
 يخططها ، او ينجسها ، ويتلبس بلبوس شكلها المتصور ، ويصب دمه في
 اشباحها . انني أتحذث عن الدراما العظيمة بالطبع ، النوع الذي يجب
 الممثل الفرصة ليعتق مصيره الجسدي قائماً . خذ شكسبير مثلاً . ففي
 تلك الدراما لدافعة نجد'لوعاطف الجسدية تقود الرقص فتوضح كل شيء .
 ويدونها بنهار كل شيء ، ولن يتساح الملك لير ان يقي بموعده مع
 الجنون بدون الاشارة الوحشية التي تنفي كورديليسا وقدم ايدكار .
 فنكتشف تلك المأساة شيئاً فشيئاً يبدأ منذ ذلك الحين بالرقوع تحت
 سيطرة الجنون . ويتم التعلي عن الأرواح للشياطين واحتقائها . وليس
 هنالك أقل من أربعة جنانين : واحد بسبب المهنة ، والثاني بالنية ، وبأني
 بعد ذلك اثنان بسبب المذابح — أربعة اجسام مضطربة ، أربعة مظاهر
 لا يمكن النطق بها ، لحالة واحدة .

بل ان ميزان الجسم البشري نفسه غير مناسب . فالفتساح والحذاء
 العمالي والكميساج الذي يقلص الوجه ويركزه في عناصره الاساسية ،
 والملابس التي تبالغ او تقيط — ذلك الكون يضمعي بكل شيء من اجل
 المظهر ، وهو معد للمين فقط . وبراسطة مميزة لا تجدية ، فان الجسم

نفسه يأتي بالمعرفة أيضاً . فقلت أفهم اياكو ما لم أألمع دوره . فليس يكفني ان اسمه ، لأنني أفهمه فقط حين أراه . والمثل من الشخصية الالاجدية ، بالتالي ، الرابطة ، ذلك الطفل المنفرد الصافع الذي هو غريب ، ومألوف ، معاً ، والذي يجعله من بطل الى آخر . وهنا أيضاً يساهم العمل الدراماتيكي العظيم في وحدة النعمة هذه ^(١١) . وهنا أيضاً يناقض المثل نفسه : هو نفسه ، ومع ذلك فهو هذا التنوع وهذا التمدد من الارواح المجتمعة في جسد واحد . ومع ذلك فإنه يناقض الالاجدي ذاته ، ذلك الفرد الذي يريد ان يحقق كل شيء ويعيش كل شيء ، تلك الحارلة التي لا تنفج فيها ، وذلك الاستمرار المهر الذي لا نتيجة له . ومع ذلك فما يناقض نفسه يتجدد فيه . انه في اللحظة التي يجادل فيها الجسد الذهن حيث يتجه الذهن المتعب من اندحاراته الى أشد حلفائه اخلاصاً له . ويقول هاملت : « مباركون هم أولئك الذي يترجح ذممهم ورأيهم بحيث لا يكونون بوقاً يمزق عليه القدر باصابعه ما يريد » .

* * *

تري كيف لم 'تجرح' الكنيسة مثل هذه الامور التي يقوم بها المثل ؟

(١) أذكر الآن بوليسير وبطله دالسيست « . فكل شيء بسيط ، ورائع ، رخش ، فالسيست مقابل قبليت ، وسيلين مقابل اليانت ، والموضوع بأكمله في نتيجة لاجدية خاصة بطبيعة موجهة نحو تطلها ، والشعر نفسه ، د الشعر الرديء ، الذي يندو انت نجده مشدداً ، عندما كرامة طبيعة الشخصية .

ترى كيف لم تحرّم الكنيسة مثل هذه الامور التي يقوم بها الممثل ؟
لقد حرّمت في ذلك الفن تقصاعف الأرواح المهرطق ، والدعارة الماطفية
وافتراضات الذهن الذي يمتدح على عيش حياة واحدة ويندفع نحو كل
اشكال الافراط . وحرمت ايضا تقفيل الجاضر وانتصهار بروتيرس ،
وهذان أمران يتفیان كل مسا تبشر به . فالأبدية ليست لعبة . والذهن
الذي يبلغ به الحق ان يقبل الكورميدا بدلا من الابدية يكون قد فقد
خلاصه . وليس هنالك حل وسط بين كل مكان ، وبين « الى الابد » .
ولهذا فان مثل هذا الادعاء العمل بكل ذلك اللؤم يمكن 'ن' بشر صراعا
روحيا هائلا . لقد قال نيتشه : « المهم ليس الحياة الابدية ، وإنما النمطة
الحية الابدية . » والحقيقة ان كل أشكال الدراما تدور على هذا الاختيار .

كانت اديبين ليكوفيربر مستعمدة وهي على فراش الموت للاعتراف
وتقبل الدعاء ، ولكنها رفضت ان تنبذ مهنتها . وهكذا فقد خسرت
فائدة الاعتراف . ألم يكن هذا ، في نتيجة ، اختيارا لماطفتها الشديدة
بدلا من اختيارها لله ؟ ولقد أعطت تلك المرأة وهي تتمذّب على فراش
الموت ، دامة العبيث ، برفضها ان تنبذ ما سمته قلبها ، الدليل على عظمة
لم تحققها أبدا خلف الاضواء . كان هذا أبداع أدوارها وأشدّها صعوبة .
فالاختيار بين الساء والامانة المضحكة ، وتفضيل الذات على الابدية أو
تقدّان الذات في الله يمثل المأساة المريعة التي يجب على كل واحد أن
يلعب دوره فيها .

كان يمثل الفترة يعرفون 'نهم' كانوا مستعبدين من شفاعة الكنيسة .

قدّم كان دخول تلك المهنة يشبه اختيار 'الجميع' وقد اكتشفت الكنيسة فيهم أسوأ أعدائهم . ويحتاج بعض الرجال قائلين : ه ماذا؟ حرمان مولير من الطقوس الأخيرة؟ ولكن ذلك كان عدلاً ، خاصة بالنسبة لرجل مات على المسرح وانتهى تحت أصابع الممثل من حياة كانت مكرسة كلها للتشئت . وفي حالته يمكننا ان نستخدم خبرته مبرراً . ولكن النبوغ لا يبرر شيئاً ، فقط لانه يرفض ان يفعل ذلك .

كان الممثل يعرف في ذلك الجين أي عقاب ستطره . ولكن أي منزى هنالك يمكن ان يكون مثل تلك التهديدات المفاجئة أمام منزى العقاب النهائي الذي قدخه له الحياة ذاتها؟ كان ذلك هو العقاب الذي شعر به مقدما وقبيله كلباً . وبالنسبة للممثل ، كما هو الأمر بالنسبة للانسان اللاجدي ، لا يمكن تمريض الحسارة الكامنة في الموت قبل الاران . لا شيء يمكن ان يعوض عن مجموع الوجوه والمصور التي كان يمكن أن يراها لو لا ذلك الموت . ولكن المرء يجب ان يبرت معها كلف الأمر . لان الممثل هو حقاً في كل مكان ، بيد ان الزمن يدفعه الى الامام ايضا ويترك فيه آثاره .

لا يتطلب الأمر الا شيئاً من التخيل لمعرفة ماذا يعنيه مصير الممثل . فهو يصنع شخصياته ويمددها في الزمن . وهو يتعلم ان يتحكم فيها في الزمن ايضا . وكلما زاد عدد الاحجار المختلفة التي يكون قلبه عاشها ، زاد عمداً عنها . ويأتي وقت يجب عليه فيه أن يموت بالنسبة للمسرح وبالنسبة للعالم - ويراجه مسا كان قد عاشه . وهو يرى بوضوح ، ويشعر

بالنوعية الملائمة التي لا يمكن تغييرها ، والتي تصنف بها تلك المنامرة .
انه يعرف ، وهو يستطيع أن يثبت الآن . وهنالك بيوت للمبتلين
المسكين .

الغالبية

يقول الفاتح : « كلا ، لا تفترض انه بسبب حيي الغالبية يكون
عليّ أن أنسى كيف أفكر ، بالمعكس ، استطيع قائما أن أعترف
أؤمن به ، لانني أفكر به بشبات وأراه بوضوح ويقين . احذر 'ولئك الذين
يقولون : - انني اعرف ذلك كل المعرفة ، الى درجة انني لا أستطيع
أن أعبر عنه . - لانهم اذا لم يكونوا قسادين على ذلك فهذا يرجع الى
انهم لا يعرفونه ، أو لانهم وقفوا خارج السطح بسبب من كسلهم » .

وليس لدي عدد من الاراء . ففي نهاية الحياة يرى الرجل انه قد
اتفق سنوات ليناكد من حقيقة واحدة ، ولكن الحقيقة الواحدة ، اذا
كانت واضحة ، فكيفي لتوجيه وجوداً . أما بالنسبة لي ، فكلدي بالفعل
ما أريد أن أقوله عن الفرد . يجب على المرء ان يتحدث عنه بالحق ،
وإذا احتاج الامر ، فبالاحتقار المناسب .

و ن الانسان هو انسان خلال الاشياء التي يحتفظ بها لنفسه اكثر
من كونه انساناً خلال الاشياء التي يوقطها . وهنالك اشياء كثيرة سأحتفظ
بها لنفسي . ولكنني اؤمن بشبات بانك كل اولئك الذين اصدروا رأيهم

عن الفرد قد فعلوا ذلك بناء على تجربة أقل من التجربة التي نستند عليها نحن في رأينا . لقد لاحظ الذكاء ، رجا الذكاء الغير ، وثنا بها هو ضروري للملاحظة . ولكن الفترة ، وخرائبها ، ودمها قدحونا بالحقائق . لقد كان ممكنا للشعوب القديمة ، حتى الشعوب الحديثة الى حد عصرنا ، عصر الآلة ، ان توازن بين فضائل المجتمع والفرد ، وان تحاول ان تعرف أيها يخدم الآخر . ولنبدأ بالقول بان ذلك ممكنا بفضل ذلك الضلال المتحكم في قلب الانسان ، القائل بان الكائنات البشرية مخلوقة لتخدم او "تخدم" . ثم ان ذلك كان ممكنا لأنه لم يكن المجتمع ولا الفرد قد فكشفا عن قابليتهما بعد .

ولقد رأيت أذهانا لامة قدير عن الدمعة من اللوحات العظيمة للرسامين الهولنديين الذين ولدوا في ذروة الحروب التي حدثت في الفلاندرز وتستمر من الصراعات التي كان يقوم بها المتصوفون السيليزيون الذين ربوا خلال حرب الثلاثين المرحية . القيم الابدية تعيش بعد الاضطرابات الدنيوية امام اعينهم المدهشة . ولكن كان هنالك تقدم منذ ذلك الحين . فرسامو اليوم محرومون من ذلك الوقسار . وحتى اذا كان لهم اسما القلب الذي يحتاج اليه الخالق - اعني القلب المفلق - فذلك امر لا ينفع ، لأن الجميع ، حتى القديس ، قد شملته الحركة . ولعل هذا هو ما شعرت به بعق . فني كل شكل قضيع معاله في الخنادق ، وفي كل مظهر او تشبيه او صلاة بما يحقه القولاذ ، تحبس الابدية جولة . ولما كنت ادرك انني لا استطيع ان اقف بعيداً عن زمي ، فقد قررت ان اكون جزءاً لا يتجزأ منه . وهذا هو السبب في اني اقدر الفرد فقط لأنني اراه مضحكا مهانا . ولما كنت اعرف انه ليست هنالك قضايا متصرفة ،

فانني اميل الى اللغضايا الخامرة . انها تحتاج الى روح لم نصلها المستوى ،
تقف نحو اندحارها مثل موقفها نحو انتصارها الموقته . فكل من يشمر
بانه مرتبط مع مصير المسلم يرى في تصادم الحضارات امراً مذبذباً .
وقد جعلت ذلك العذاب عذابي في الوقت نفسه الذي اردت فيه انني
اشترك فيه . وفي اختياري بين التاريخ والابدية ، اخترت التاريخ لانني
اميل الى ما هو يقين . فانا ، على الاقل ، موقن منه ، وكيف استطيع
ان انكر هذه القوة التي تسحقني ؟

« يحدث دائماً ان يجد المرء نفسه مضطراً الى لا اختيار بين التأمل
والفعلية . ويسمى هذا « الصيرورة رجلاً » ومثل هذه الامور مرجعية ،
ولكن ليس امام القلب الفخور اي حل وسط . هنالك الله والزمن ،
ذلك الصليب او هذا السيف . لا شيء هنالك حقيقي غير تلك المشاكل
ونشاعب . وعلى المرء ان يعيش مع الزمن ويموت معه ، او يحب عليه
ان يتعاشاه ويتجاهله من أجل حياة اعظم . وانني اعرف ان المرء
يستطيع ان يجد تسوية فيعيش مع العالم بينما يؤمن بالابدي . وهذا يسمى
القبول . ولكنني اكره هذه التسمية وأريد كل شيء ، او لا اريد شيئاً .
فاذا اخترت الفعلية فلا تظن ان التأمل بالنسبة لي هو كالبله الاجني
الذي لا عرف عنه شيئاً . ولكن ذلك لا يمكن ان ينحني كل شيء ،
ولما كنت عروباً من الابدية ، فاني اريد ان اختلف مع الزمن . ولست
اريد ان اضيف الى حسابي الخبز النامض او المرارة ، وانا فقط ،
اريد ان ارى بوضوح . اقول لك انك غداً ستندفع متحرراً . وهذا
هو بالنسبة لك ، ولي ، تحرير . فالفرء لا يستطيع ان يفعل اي شيء ،
ومع ذلك فهو يستطيع ان يفعل كل شيء . وفي تلك الحالة الراقصة

اللامر تبطله بكذاك ان تفهم لماذا اقدسك واسحقه في الوقت نفسه ، العالم هو الذي بسحقه سحقا ، وانا الذي احرره . وانا الذي اعطيه حثوثه .

* * *

« واما نحنون بمرقون ان الفعالية هي بجد ذاتها غير ناقمة . هنالك فعل مفيد واحد فقط ، وهو اعادة خلق الانسان والارض . وان أعيد خلق البشر . ولكن المرء يجب ان يفصل (و كانه) . لان طريق النضال يقود الى الجسد . وحتى اذا كان مهالما ، هذا الجسد ، فانه يقيني الوحيد واستطيع ان أعيش عليه فقط . والخرق هو موطني . ولهذا السبب اخترت هذا الجهد اللاعبدى ، الذي لا نتيجة له . ولهذا السبب أقف بجانب الصراع ، فالفترة تهب نفسها لهذا ، كما قلت . كانت عظمة الفاتح حتى الآن جغرافية ، وكانت ههنا جدى الاقطار المفتوحة . وهنالك سبب جعل تلك الكلمة تتغير في معناها ولم تعد تعني الجزال المنتصر . لقد غيرت المنظمة مسكرها . انها تكن في الاحتجاج والتضحية في الزقاق المسدود . وهنا ايضا لا يكون الامر تفصيلا للانسجار ، لان المنتصر مرغوب ، ولكن هنالك نصراً واحداً فقط ، وهو أبدي . ذلك هو النصر الذي لن يكون لي قط . ومنسا أنتثر وأنتبث . فالنورة دائمة لتحقيق ضد الالهة ، مبتدئة بشورة برومبوس ، اول الفساحين الجديين . انها مطالبات الانسان ضد مصيره ، اما مطالبات الفقراء فليست غير معاذير . بيد انني استطيع ان اقبح على تلك الروح بفعلانيها التاريخية فقط ، وذلك هو مجال اتصالي بها . ولكن لا تفترض

انني أجد لذة في ذلك : فبمعكس التناقض الاساسي ، احافظ على تماثلي البشري ، اني اثبت وضوحي وسط ما ينفيه . واقدس الانسان امام ما يسعده ، ثم تأتي حربي وثورتي وعاطفي مما في ذلك التوتر ، ذلك الرضوح ، وذلك التكرار الواسع .

وأجل ، الانسان هو نهاية نفسه ، وهو نهاية الرحمة . فاذا هدف الى ان يكون شيئاً ، فان ذلك يكون في هذه الحياة . وانا اعرف ذلك اكثر مما ينبغي . فالناحون يتحدثون احساناً عن السحر والغلبة ، ولكنهم يعمون دائماً و انقلب على نفوسهم ، - وانت تدرك جيداً ما يعنيه ذلك . فكل انسان يشعر بأنه مصادل لإله في لحظات معينة . هذه هي ، على الاقل ، الطريقة التي يتم التعبير بها عن ذلك . ولكن ذلك يتأتى من حقيقة 'نه شعر شعوراً خاطئاً بمظمة الذهن البشري . والناحون هم اولئك الناس ، بين البشر ، الذين يدركون قوتهم بصورة كافية لتجعلهم يوقنون من العيش دائماً فوق تلك الدري ، مدركين تلك المنظمة كل الادراك . انها مسألة حسابية ، اكثر ، ار أقل . والناحون قادرون على 'لاكثر ، ولكنهم لا يقدرون على 'اكثر مما يقدر عليه الانسان نفسه حين يريد . ولهذا فهم لا يصادرون البرهنة البشرية ، منغمسين في روح الثورات الصخابة .

» وممالك يجدون الخارق مقطع الأوصال ، ولكنهم يواجهون هنالك ايضا القيم الرحمة التي يملون اليها ويعجبون بها ، الانسان وصته . وهذا هو ما يؤلف خراهم ويسرهم ممّا . وهنالك عرف واحد لهم -

عرف العلاقات البشرية . فكيف لا يستطيع المرء ان يدرك ان في هذا الكون الضعيف كل ما هو بشري ، وبشري فقط ، يتخذ لنفسه معنى اكثر اشراقا ؟ الوجوه المتورقة ، والاخشاء المبتدء ، مثل تلك الصداقة القوية البريئة بين البشر — تلك هي الثروات الحقيقية ، لانها عابرة . وفي وسطها يكون الذهن على أشد ادراكه لقواه وحدوده . اي لدى تأثيره . لقد تحدث البعض عن النبوغ . ولكن النبوغ امر سهل قوله ، انني افصل الذكاء ، اذ يمكن القول بأنه سيكون رائعا جيلئذ . انه يعني هذه الصعراء ويتحكم فيها . انه يعرف التزاماته ويرضح بها . وسيموت مع الجسد ، ولكن معرفته لهذا تoulf حريته .

* * *

نحن لا نجعل ان كل الكائنات هي ضدها . والقلب المد هكذا يتجنب الابدية ، والكائنات كلها ، مقدسة او سياسية ، تدعي بالابدية ، وما السعادة والتجاعة ، والتعرض عن الاقام او المدالة ، فهي اهداف فارية بالنسبة اليها . انها تأتي بعبدة ، ويجب على المرء ان يساهم فيها باثر اك . ولكنني لا أهتم بالأفكار او بالابدية . واطلقا التي تدخل ضمن نطاقني يمكن لمسها باليد . ولا يستطيع ان أنفصل عنها . ولهذا السبب فانت لا تستطيع ان تبني اي شيء عليّ ، اذ لا شيء يدرم من الفانح ، حتى ولا عقائده .

وفي نهاية كل ذلك ، وبالرغم من الاشياء كلها ، يكون الموت . ونحن

نعرف ايضاً انه ينبغي كل شيء . ولهذا السبب ، فان كل تلك المقابر المنتشرة في اوروبا ، والتي تقتل بعضنا ، كريمة . فلئلاس يستقرت الجحشال على ما يحزنه فقط ، والوت يصدنا ويستنفد صبرنا ، ويجب دسره هو ايضاً . كان كارار الاخير ، السجين في بادوا ، التي أخلاها الطاعون وحاصرها البندقيون ، يركض صارخاً في قاعات قصره المهجور ، كان يدعو الشيطان ويطلب منه الموت . وكانت هذه طريقة من طرق دسره . وهي ايضاً علامة على الشجاعة التي يمتاز بها الغرب لأنه أسبغ القبح على الأماكن التي يظن الموت انه يجد فيها الاكرام . وفي عالم الشائر ، يقدس الموت الظالم ، وهذا هو الاسفاف الاسمى .

» واختار آخرون ، بدون ان يتصوروا عن ايها ، الابدية ، وشجبوا وهم هذا العالم . ومقارنهم تبسّم وسط العديبد من الازهار والطيور . وهذا يناسب الفاتح ويهبه صورة واضحة لما كان قد رفضه ، لقد اختار ، بالعكس حاجز الحديد الأسود ، أو الجغل الذي يعمل فيه صانع الخبز . وفضل الناس ، بين فاس الله ، يرفعهم بين حين وآخر ، رعباً مزوجاً بالنأمل والعطف ، ن يروا هذه الأدمان التي تستلبح ن قبيش وهي تتدور لنفسها مثل هذا الموت . بيد ان هذه الأدمان تستمد قوتها ومبرراتها من ذلك نفسه . ان مصيرنا يقف أمامنا ونحن نستثيرة . وليس هذا بسبب فقيراً وكبرائنا بقدر كونه بسبب ادراكنا لوضعيتنا التي لا تكيحسة ترجى منها . ونحن 'يفساً نشعر في بعض الاحسن بالثقة على 'نسنا . وهذا ' هو التعاطف الوحيد الذي يلوح لك دشوكاً بالنسبة اليها : الشعور الذي قد لا تفهمه ، ولا يلوح لك ذلك رجولياً . ومع ذلك فان اشجع

الناس بيتناهم اولئك الذين يشعرون به . ولكننا نسعي الراضحين رجالا
ولا زيد قوة منفصلة عن الوضع .

* * *

دعني اكرر ان هذه التصورات لا تفتراض اية شرائع اخلاقية ، كما انها
لا تستعمل على أي حكم . انها صور تخيلية فقط . فالماشق ، والمثل ،
والمناظر يلعبون دور الالاجدوى . ولكن يستطيع ان يفعل ذلك بنفسه
الشوة ، إذا شاء ، المقيم ، والموظف ، او رئيس الجمهورية . فيكفيه ان
يعرف ، وألا يضع قناعا على أي شيء . يفتخر له في المشاحف الابطالية
احيانا على لوحات عليها رسوم كان اللس يستخدمها ليعطي عيني الحكوم
عليه بالاعداد فلا يرى المشتة . والقفزة بكل اشكالها ، الاندفاع لقابلية
المقدس او الابدية ، والاستسلام لاهام الحياة الرومية ، او الفكرة – كل
تلك اللوحات تخفي الالاجدوى – ولكن هناك مواطنين بلا لوحات ، وهم
اولئك الذين أريد ان أتحدث عنهم .

لقد اخترت اشداهم تطرفا . وفي هذا المستوى فهم الالاجدوى قوة
ملككية . صحيح ان هؤلاء الامراء هم بدون ملكة ، ولكنهم يتميزون عن
الآخرين جدا : انهم يعرفون ان جلال الملوك وهمي . وهم يعرفون ان هذا
هو كل ما يؤلف نباههم ، وغير مفيد ان تتحدث عن علاقتهم بسوء الحظ
الناقص ، أو رماد الحياة . فقد ان الامل ليس يأسا ، ولرب الأرض يساوي
عطور النساء ، ولا يستطيع أسد ، حتى ولا انا ، ان يحكم عليهم هنا . انهم

لا يكافحون ليكونوا افضل ، وانما يجادلون ' ان يكونوا متساكين ، لماذا كان يمكننا ' ن يطلق مصطلح ' الرجل الحكيم ' على من يعيش على ما يملكه بدون ان يؤمل شيئاً بما لا يملكه ، فهم ' ذن حكامه . وهناك واحد منهم ، وهو فاتح ، ولكن في دنيا اللذين ، ودوت جوان ، ولكن في المرفقة ، ومثل ، ولكن في دنيا الذكاء ، يعرف هذا اكثر من اي شخص آخر : و انت قط لا تستحق امتيازاً في الأرض او السماء لابلغك درجة الكمال خروفاك الطيب الصغير العزيز ، وانت مسح ذلك تستمر في كونك ، على افضلك ، خروفاً صغيراً عزيزاً مضحكاً ، بقرون ، ولا شيء ، فسيّر ذلك - مقترضين ايضاً انك لا تنفجر بالغرور ولا تثير فضيحة بالتخاذل موقف الذي يصدر حكمه . »

وعلى اي حال فقد كان ضرورياً ن نعبد للتبليد اللاجيدي امثلة اقرب إلى القلوب . ويستطيع الخيال ان يضيف امثلة اخرى ، غير متضمنة عن الزمن والنفى ، من اولئك الذين يعرفون ايضاً كيف يعيشون متفقيين مع كون ليس له مستقبل وليس فيه ضعف . وهذا العالم اللاجيدي ، الذي لا اله فيه ، ماهول بن يفكرون بوضوح ، ولم يعودوا يأملون . ولم يحدث بعدد من أشده الشخصيات لا جدوى ، اي الخالق .

رِخْلَجُ اللّٰهُ نَجِي

الفلسفة والرواية

كل تلك الاعمار الجياقة التي تعيش في جو اللاجدرى النادر لا يمكن ان تستمر بدون ان يصيب فلكر عميق ودائم قوته فيها ، وهنا بالذات يمكن ان يكون ذلك شعوراً غريباً فقط بالامانة . وقد لاحظ المدرسون ولم ينجزوا مسؤولياتهم وسط أسخف الجروب دون ان ينظروا الى انفسهم باعتبارها متناقضة . كان هذا لانه كان من الضروري عدم تجنب اي شيء . هنالك اذن شرف ميتافيزيكي في احتمال لا جدوى المسالم . والقلبة ، والتشيل ، وتمدد الترامات ، والتورة اللانجدية ، هي المساهمات التي يقدمها الانسان من اجل كرامته في رحلة يكون فيها مدحوراً منذ البداية .

ذلك هو من أمور الامانة تجاه قواعد المركة . وذلك الفلكر قد يكون كافياً للايقاظ على الذهن ، وقد دعم ، وما يزال يدعم ، حضارات كاملة . فلا يمكن نفي الحروب ، ويكيب على الرء ان يعيشها أو يوت بسببها ، وكذلك هو الأمر مع اللاجدرى . انه امر متعلق بنفسها ، برؤية عطلاتها ،

٥ واستعادة الاجساد . وفي هذا المصدر نجد ان النبطية الاتحادية المتنازة هي خالق . قال نيتشه : ه اتفن ، ولا شيء غير الفن ، لدينسا ادن لكي لا نوت بسبب الحقيقة . ٤

ومن المؤكد في التجربة ان اسرار ان اصبا ، وركز على بعض انماطها ، ان عذابا جديدا ينبت كلما مات عذاب آخر . والبحث الطفولي عن النسيان وحس الاشباع هما الآن خاليان من اي صدى . ولكن لتوتر الدائم الذي يبقى الانسان وجها لوجه مع العالم ، وهذان المظلم الذي يحفره على ان يكون مستلما لكل شيء ، يترك له حتى أخرى . وهذا فان العمل الفني في هذا العالم هو الفرصة الوحيدة للاحتفاظ بأدراك الانسان وتثبيت مذكراته . و'خلق هو الميش المضاعف . و'ان بحث بروست المتنس في 'الشارم' والتهيف ، واهتمامه الدقيق بجميع الزهور وورق الزينة ودواحي 'تد' ، كل تلك الامور لا يمكن ان تنفي شيئا آخر . وفي الوقت نفسه فانها لا تعني اكثر مما يعنيه المطلق المستمر الالامفوم الذي يفرق فيه المثل والافتاح وكل البشر الالاعبدن في كل يوم من ايام حياتهم . فالكل يحبرون ايدهم في تقليد وتكرار وعادة خلق الواقع الذي هو واقعهم . ونحن ننتهي دائما بان يكون لنا مظهر حقائقنا ، وكل الوجود بالنسبة للانسان الذي يدبر ظهره الى الابدية هو فقط تقليد هائل تحت قناع الالاعدرى . و'الخلق هو التقليد العظيم . ٤

ولنبدا بالقول بان هؤلاء الناس يعرفون ، ثم ينحصر كل وجودهم في اختبار وتوسيع واعناء الجزيرة العابرة التي مبطرا فيها . ولكن عليهم

ان يعرفوا اولاً . لأن الاكتشاف الالاجدي يحدث مع توقف تكون فيه عواطف المستقبل ممددة ومبررة . وحتى الناس الذين ليس لديهم انجيل يملكون جبل الزيتون . ويحب ألا ينام المرء على جبلهم ايضاً ، فالامر بالنسبة للانسان الالاجدي ليس تفسيراً ولا حلاً ، وانما هو تجربة ووصف . وكل شيء يبدأ بالالاء كثرات الواضح .

الوصف — هذا هو آخر مطامح الفكر الالاجدي . والعلم ايضاً ، بعد ان وصل 'لى نهاية تناقضاته ، كف عن التسامح ، ولم يعد يفكر في 'و يضع الخطوط المسامة ، لينظر الظواهر البكر دائماً . وهكذا يتسلم القلب ان 'الماطة التي تنبطننا حين نرى مظاهر المسام لا تأتينا من عمق العالم ، وانما من تعدد تلك المظاهر واختلافها . والتفسير لا ينفع ، ولكن الاحساس يبقى ، وتبقى معه ايضاً الفائق لدائنة لكون لا ينفد تمده . ومن الممكن في هذه النقطة فهم مكان العمل الفني .

انه يعني موت التجربة وتضاعفها ممّا . انه نوع من التكرار الرتيب ، المحتم ، للافكار التي عرفها العالم بالفعل : الجسد ، تصور لا ينقد عند قواعد التماثل في المبدأ ، والاشكال والأوران ، والممدد ، 'و الجزرت . وبالتبعية فانه ليس لائكرائنا ان نواجه ثانية الافكار الرئيسية لهذا البحث في عالم الخالق ، الرابع ، العاقلاني . ومن الخطأ ان نرى فيه رمزاً ، وان نظن ان العمل الفني يمكن ان يعتبر اخيراً ملجأ للاجندوى . انه هو نمه ظاهرة لاجدية ، ونحن هنا مهتمون بوصفه فقط . وهو لا يوفر خلاصاً من المرض العقلي ، وانما هو اسد أعراض ذلك المرض الذي

بعبكه عبر فكر الانسان كله . ولكنه للمرة الاولى يحمل الذهن يخرج خارج نفسه ، ويضعه ضد الازدهان 'الاخرى' ، لا لكي يقيه ، وانما ليريه بوضوح المر المسدود الذي دخله 'الجبيح' . وفي زمن التعليل الالاجدي يتبع الخلق الاالاكتراث والاكتشاف ، وهو يمين النقطة التي تتبثق منها المواطن الالاجدية والتي يتوقف فيها التعليل الالاجدي . وانما ابرر مكانه في هذا البحث بهذه الطريقة .

كفينا ان فانهي ضرماً على بعض 'افكار' الماروفة بالنسبة للخصائى والفكر لكي نجد في العمل الفني كل تناقضات الفكر التي تشمل عليها الالاجدى . رالحق ان التساؤلج المتشابهة لا تثبت وجود العلاقة بين لاذهان بقدر التناقضات الموجودة بين تلك الازدهان . وكذلك هو الامر مع الفكر والمطلق . ولست أحتاج هنا الى ان أقول ان الدافع نفسه يجزئ الانسان الى هذين الماروقين . وهما يجدان معاً في البداية ، ولكن بين كل الافكار التي تبدأ من الالاجدى ، لم أجد الا القليل مما يبقى منها . وقد استطعت ان اقيس بصورة افضل ، خلال انحرافاتنا ولا 'مانهيسا' الجانب 'الذي يتخص الالاجدى' . ويحبب على ان انشاءك بنفس الطريقة : هل ان العمل الفني الالاجدي ممكن ؟

* * *

من المستحيل 'الاصرار كثيراً على الطبيعة لمرصة في التناقض السابق بين الفن والمطبعة . فاد اصررت على ن نأخذه بعنى محدود جداً ، فانه

زائد بالتأكيـد . وإذا عـنيت فقط ان لكل من هذين النظامين جـوده الخاص به ، فقد يكون هذا صحيحاً ، ولكنه يظلُ غامضاً . وكان البعث الوحيد المقبول يكن في التناقض الذي يتم ابرازه بين الفيلسوف المحصور ضمن نظامه والفنان الموضوع امام عمله الفني . ولكن هذا كان يخص شكلا معيناً من اشكال الفن والفلسفة فمتبره ثانوياً هنا . فلم يتم التخلي عن فكرة كون العمل الفني منفصلاً عن مخالفه فقط ، وإنما هي فكرة مزيفة أيضاً . وعلى النقيض من الفنان ، يشار الى ان الفيلسوف لم يخلق مطلقاً عدة أنظمة . ولكن هذا يكون صحيحاً فقط طالما ان الفنان لم يعبر قط عن اكثر من شيء واحد تحت مظاهر مختلفة . والكمال المباشر في الفن والحاجة الى تجده — يصبح هذا فقط عبر فكرة موزوعة سابقاً . لانت العمل الفني هو ايضا بناء ، و'الجـميع يـمـرـفـون كـم يـكـن ان يـتـصـف الخـالقون المعظم بالرقابة . والفنان كالـفـكـر ، للسبب ذاته ، يلتزم ويصبح هو نفسه في عمله . وهذا التساؤل بينها يشير أشد المشاكل الجاهلية أهمية ، واكثر من هذا لا يكون هنالك بالنسبة لمن يقتنع بوحدة هدفية الذهن شيء اكثر سخفاً من هذه التفسيرات المركزة على الطرق والوضوعات . فليست هنالك حدود بين الانظمة التي يقيمها الانسان نفسه للفهم والمحـب . انـها تـتـعـابـك . ويشيرها الفلق ذاته .

من الضروري ان نقول هذا كـبـدأـية . لانه اذا كان يراد من العمل الفني الالاجدي ان يكون ممكنًا ، فيجب ان يدخل ضمنه الفكر باسط اشكاله . وفي الوقت نفسه يجب الا يكون الفكر واضحا الا في كونه الدكاء المنظم . ويمكن تفسير التعارض على ضوء الالاجدوى . فالعمل الفني يرك من رفض الدكاء ان يعمل المـوسـم تمـيـلا عـقـلياً . وهو يشير الى انتصار

'الجسد'. والفكر الواضح هو الذي يثيره ، بيد ان ذلك المفكر ، بذلك العمل ذاته ، انما ينفذ نفسه . ولن يستسلم الاغتراف المتمثل في اضافة معنى 'يعنى الى ما يوصف' معنى يعرف انه غير مشروع . والعمل الذي يحسد دراما المذكرة ، ولكنه يثبت هذا بصورة لا مباشرة فقط ، والعمل اللاعجدي يتطلب فنانا مدركا لهذه التقييدات والحدود وفنا لا يعني فيه الملموس كثر من نفسه . فلا يمكن ان يكون نهاية ، ومعنى ، وتعددية حياة . فالخلق أو عدم الخلق لا يبدلان شيئا . والفنان اللاعجدي لا يضع لعمله قيمة ، وهو يستطيع ان يشجبه بالعمل في بعض الاحيان ، تكفبه الجبنة مثلا في هذه الحالة ، كما هو الامر مع رامبو .

وفي الوقت نفسه ، يمكننا ان نرى قاعدة جالية في هذا . فالعمل الفني الحقيقي هو دائما على الميزان البشري . وهو بالضرورة ذلك الذي يقول د اقل . . وهناك علاقة معينة بين التجربة الارضية للفنان ، وبين العمل الذي تتمكن فيه تلك التجربة ، بين فلم ميستر ونضج غوته . وتكون تلك العلاقة رديئة حين يهدف العمل الى اعطاء التجربة كلمات بين دفتي الادب التوضيحي . وتكون تلك العلاقة جيدة حين يكون العمل قطعة من التجربة فقط ، جانبا واحداً من الجوانب المتعددة في الجوهرة ، يركز فيه التأتق الداخلي بدون ان يكون محسوداً . ففي الحالة الاولى هنالك افراط وادعاء بالابدية . وفي الحالة الثانية هنالك عمل مشعر بسبب تجربة كاملة متضمنة ، يشك في غناها . ومشكلة الفنان اللاعجدي هي ان يحصل على هذه المعرفة الحية التي تتوق المعرفة المصنوعة . وفي النهاية ، فان الفنان العظيم في هذا الجو هو قبل اي شيء آخر كائن حي عظيم ، على ان تفهم ان المعيش في هذه الحالة هو تجربة بقدر كونه

انكساراً . وهكذا فإن العمل يجسد دراما عقلية . والعمل اللاعبدى يوضح نبذ الفكر لكرامته واستسلامه لكونه لا شيء أكثر من الذكاء الذي يصنع المظاهر ويغطي بالصور كل ما لا سبب له . ولو كان العالم واضعاً فإن الفن لن يكون موجوداً .

ولست أتحدث هنا عن فنون الشكل أو اللون التي يسود فيها الوصف فقط باعتداله الرابع^(١) . فالتمثيل يبدأ حيث ينتهي الفكر . هؤلاء المراهقون الذين يحملون بميون فارضة في المابد والمتاحف — تم التعبير عن فلسفتهم بالحركات . وذلك بالنسبة للانسان اللاعبدى أشد تنقيهاً من كل المكتسبات . وذلك ينطبق على الرسقى أيضاً تحت مظهر آخر . لأنه اذا كان الفن خالياً من العظاات ، فلا بد انه مرسقى . انه يكون اقرب الى الرياضيات اذا لم يكن قد استعار شيئاً من عطاها السمع . ويلعب الذهن هذه اللعبة مع نفسه طبقاً لقواعد موضوعية خاضعة للقياس وتحدث اللعبة ضمن نطاق تردده الصوتى الخاص بنا ، والذي وراه تتلاقى الترددات في كون لاشرى . وليس هنالك احساس أشد نقاء . هذه أمثلة سهلة جداً . و للانسان اللاعبدى يعتبر هذه التوافقات و الاشكال توفقاته واشكاله .

ولكنني اود هنا ان أتحدث عن عمل يظل فيه اغراء التفسير اعظم

(١) من اللير ان تلاحظ ان اشد انواع الرسم فنية ، ذلك الذى يحاول ان يقلص الواقع الى عناصره الاساسية ، وليس في النهاية غير غبطة بصرية . فكما استقط به من العالم هو لونه . (ويوضح هذا بصورة خاصة عند لبعيه) .

الجميع ، ويقدم فيه الوهم نفسه اوتوماقيكيا ، ويكون فيه لاستنتاج
حتميا تقريبا . وأعني الحلق الروائي . وسوف ابحت امكانية احتفاظ
الاجدوى بنفسها في هذا المجال .

ان يفكر المرء هو قبل اي شيء آخر ان يخلق عالما (او أن يجد
عالمه الخاص ، الأمر الذي لا يمثل اي اختلاف) . انه يده من الاختلاف
الأساسي الذي يفصل الانسان عن تجربته من اجل ايجاد اساس مشترك
عام طبقا للصين الفاض الذي يشعر به المرء ، وكون مسوّر بالاسباب
او مضاء بالتشابهات ، ولكنه ، على أي حال ، يعطي الفرصة للنقاء
على الاختلاف الذي لا يمكن احتاله . والفيلسوف هو خالق ، حق اذا
كان هذا الفيلسوف كانط ، فليده شخوصه ، ورموزه ، وقماليته الخفية .
ولديه نهايات عقده . وبصورة عكسية ، فان اسبقية القصة على الشعر
والقالة تمثل فقط ، بالرغم من الظاهر ، اسبقا اعظم للعقبة على الفن .
دعنا لا نخطئه في هذا الصدد : انني أتحذّر عن الاعظم . ان خصب
وأهمية الشكل الفني يقاسان دائما بالسخف الذي يضمه ذلك الشكل .
وعدد الروايات الرديئة يجب ألا يجعلنا ننسى قيمة الأفضل . فهذه حقا
تحمل كونها معها . وللرواية منطقتها ، وقماليها الأهلي ، وبنهاياتها ، والأهم
المسلم بها فيها . ولها أيضا متطلبات وضوحها^(١) .

(١) اذا كفت عن التفكير في ذلك فهذا يعسر اود الروايات . بل ان كل واحد يتعب
نفسه قادراً على التفكير . وهو الى درجة مسا ، سواء كان عطلا او مصيبا ، يفكر حقا .
والمكن ، فاقلائل فقط يمكن ان يتصوروا أنفسهم شعراء او صانعي في الحكما . ولكن منه

والتعارض الكلاسيكي الذي كنت أتحدث عنه الآن لا يجد إلا تبريراً

أقول في هذه الحالة . كان باقياً في الوقت الذي كانت يمكننا فيه فصل

الفلسفة عن موجدتها . واليوم ، حين كف 'تفكير عن الادعاء بالعمومي ،

وحين أصبح أفضل ما في تاريخه هو اقتسامه على النديم والتراجع ، صرنا

نعرف ان النظام الفلسفي ، حين يكون ذا قيمة ، لا يمكن ان يفصل

عن موجهه . وعلم الاخلاق نفسه في احسد مظاهره ليس الا اعتزافاً

شخصياً طويلاً مشيماً بالتعليل المقي . وعاد الفكر المجرد في النهاية الى

الارتكاز على الجسد . وكذلك ، فان النشاطات الروائية الخاصة بالجسد

والعواطف صارت تنظم بصورة أكثر قليلاً ، طبقاً لطالبات رؤيا معينة

للمسام . وكف الكاتب عن رواية ' القصص ' وصار يخلق كونه .

والروائيون الممتازون المضام هم الروائيون للفلاسفة — اي ضداد كتاب

البحوث — فمثلاً ، بزاك وساد ، وميلفيل ، وستندال ، ودوستوفسكي ،

وبروست ، ومالرو ، وكافكا ، هذا اذا أردنا ان نذكر الفلافل .

والحق ان تفضيلهم الكنتسابة بالتصورات بدلاً من البحوث المشبعة

بالتعليل الدققي يوحي بفكر معين يشتركون فيه جميعاً ، بمنذ 'ن' فتمنعوا

بلا فائدة اي مبدأ تفسيري ، وبعد ان وثقه من الرسالة التثقيفية التي

بضطلع بها 'لمظهر المحسوس' . وهم يعتبرون العمل الفني نهائية وبداية .

اللعطة التي يقتصر فيها الفكر على الاسلوب يقتصر الاعاء دياً لدهه . وليس هذا شراً عندنا كما
يقال ، فالسازون يتقادون الى الاجاح على انفسهم بجلط' - كثيرة ، 'ما الذين يستسلمون لهم لا
يستحقون العزة' .

انه سعاد فلسفة غير معبر عنها ، تفسيرها وتنفيذها . ولكنه يكتمل فقط خلال مضامين تلك الفلسفة . انه يمر اخيراً المسامل الثابت في الفكرة القديمة القائلة بان قليلا من الفكر بعدد عن الحياة ، وكثيراً منه يعيد اليها . ولما لم يكن الفكر قادراً على تقييد الواقع لانه يتوقف لبقائه . والرواية التي نبحثها هي الاداة لتلك المعرفة التي هي في وقت واحد، مما نسبية وغير قابلة للتفاسد ، كالمب ، وللخلق الروائي من الطب ذلك التساؤل والمعجب الاوليان ، والتأمل والاستمراق الحصبان .

* * *

تلك على الاقل هي المعاني التي أراها في البداية . ولكني رأيتها أيضاً في امراء الفكر الخانع الذي استطعت ان اشهد انتصارهم فيما بعد . ما يعني ، حقاً ، هو المعرفة والوصف ، معرفة ووصف القوة التي تقوم ، في طريق 'لوم المام . وسأعادي الطريقة ذاتها هنا ايضاً . وسأعادي ايضاً اني استخدمتها بالفعل في جملي بحثي هذا قصيراً وفي تلخيصه بدون ابطاء في مثال خاص . اريد ان 'اعرف هل ان المراه يستطيع ، بقبوله حياة لا تدورق فيها ، ان يوافق على 'ان يعمل ويخلق دون ان يجد في ذلك تدورقاً ، وبمسا هي الطريقة التي تؤدي الى هذه الحريات . اريد ان احزر كوني من اشباحه وأجمله مأموراً بجقائق الجسد والدم فقط ، تلك الحقائق التي لا يستطيع انكارها . يستطيع ان اقوم بعمل لا يجد ، واختار الموقف الحلاق بدلا من اي موقف آخر ، ولكن الموقف اللاعجدي ، اذا كان سيظل كذلك ، يجب ان يبقى

مدركا لاسببيته . وكذلك هو الامر مع العمل الفني ، لانه اذا لم يتم احترام وصايا الالاجدوى واذا لم يعتبر العمل عن الانفصال والثورة ، واذا ضعى للارهام وآثار الامل ، فانه يكف عن كونه لاسببيا . ولن يكون في وسعي ان افصل نفسي عنه بعد ذلك . وقد تجد حياتي ممتلئة فيه ولكن ذلك ثاقه . ولن يكون ذلك ممارسة للانفصال والمساطنة ، تلك الممارسة التي تتوج روعة وتفاهة حياة الانسان .

وفي الخلق الذي يكون فيه اغتراف التفسير اقوى ، هل يكون في وسع المرء ان يتغلب على ذلك الاغتراف ؟ وفي العالم الروائي الذي يكون فيه ادراك العالم لواقعي على أشده ، هل يستطيع ان اطل وفيالاجدوى بدون ان اضحي بها من اجل الرضبة في اصدار 'ظلم' ؟ امثلة كثيرة يجب بحثها في جهود أخير نهائي . ويجب ان يكون قد افصح الانث ماذا تعنيه تلك الأسئلة . انها آخر شكوك ادراك يخشى ان يتخلل من عظمته الأولية الصعبة من اجل وهم نهائي . وما يعتبر خلفا ، يتم النظر اليه باعتباره أحد 'لواقف' الممكنة بالنسبة للانسان الذي يدرك الالاجدوى ، يعتبر ايضا كل أساليب الحياة المفتوحة امام هذا الانسان . فالفتاح لا المثل ، والحقائق او دون جون'ن ، قد يفسون ان ممارستهم المباش لا يمكن ان تستغني عن ادراكهم لصفة المباش الجنونة ، لان المرء يتعود بسرعة . فالانسان يريد ان يكسب مالا ليكون سعيدا ، فينتقى كل جهوده ويكرس افضل جوانب حياته من اجل كسب ذلك المال . ويتم نسيان السعادة ، ويتم اعتبار الوسيلة هي الغاية . وكذلك فان كل جهود هذا الفاتح ستعمول نحو الطموح ، والذي كان طريقا نحو حياة افضل . ودون جوان بدوره يستسلم لهذا المصير ، ويحصل على الاشباع من ذلك

الوجود الذي لا قيمة لنبهه الا عبر الثورة . فبالنسبة للارل و ادراكه ، وبالنسبة للآخر ، ثورة ، وفي الحالتين تكون الالاجدوى قد اختفت . هناك الكثير من الامال المنبذة في القلب البشري ، وضائبا ما ينتهي اشد الناس حرمانا وضيقا بتقبل وهم ما . وتلك الموافقة التي تحفز اليها الحاجة الى السلام تعادل داخليا الموافقة الوجودية . هناك اذنت T له للضياء ، وأصنام اللطين . ولكن من الضروري إيجاد للمس الوسط الذي يؤدي الى وجود الانسان .

الى هنا قلنا من فشل الملاح الالاجدوى اشياء كثيرة عن ماهية الالاجدوى . وينفس الطريقة ، اذا كنا سنتعلم شيئا ، فانه ليكفي ان نلاحظ ان المخلوق الروائي يمكن ان يبرز نفس القموض الذي تبرزه بعض الفلسفات . وهنا نستطيع ان اختار تضييما لذلك عملا يتألف من كل ما يشير الى ادراك الالاجدوى ، وبالمداية التجلية ، و الجو الواضح . وسرشدنا نتائج ذلك . واذا لم تكن الالاجدوى محترمة فيه ، فسنترف كيف يدخله الوهم . يكفيننا اذن مثل معين ، فكرة ما ، أمانة خالق . وهذا يتضمن التحليل ذاته الذي كنت قد فصلته حتى الآن .

سأنقص فكرة من أفكار فوستوفيسكي المنضلة . وكان في وسعي ان أدرس أعمالا أخرى^(١١) ، ولكن المشكلة متناولة في هذا العمل بصورة

(١١) أعمال مالرد ، مثلا . ولكن كان سيكون ضروريا في الوقت نفسه تناول المسألة لاجتماعية التي لا يمكن للفكر الالاجدي ان يتجنبها (حتى اذا كان ذلك الفكر يقدم عدة حلول يختلف كل منها عن الآخر) . وعلى كل حال فيجب ان يضع المرء لنفسه حدودا .

مباشرة ، من حيث النبل والمحافظة ، كما هو الامر مع الفلسفات الوجودية التي بحثت في أمرها . وهذا التواري يخدم غرضي .

كيريلوف

يسأل كل ابطال دوستوفسكي انفسهم عن معنى الحياة . وهم في هذا حديثو الطراز : هم لا يمشون السخوية . وما يميز الحسية المبدئية عن الحسية الكلاسيكية هو ان الأخيرة تسن على حساب المشاكل الاخلاقية بينما تنتهي الاولى من المشاكل الميتافيزيقية ، و'مشكلة مبعوثه في روايت دوستوفسكي بتركيز لا يمكن ان يستدعي إلا الحلول المتطرفة . فلما ان يكون لوجودهما أو انه ابدى . واذا كان دوستوفسكي مقتنعا بهذا التساؤل فانه سيكون فيلسوفا . ولكنه يوضح النتائج التي تخلفها ذلك اهلويات العقلية في حياة الانسان ، ولذلك فانه قنأن . وبين تلك النتائج يتركز اهتمامه بصورة خاصة في النتيجة الأخيرة ، التي يسميها هو الانتحار المنطقي في كتابه د مذكرات كاتب ، . وهو يتصور في القاطع التي كتبها في كانون الاول ١٨٧٦ تعليلا عقليا 'الانتحار المنطقي' . ولما كان مقتنعا بان الوجود البشري هو لا جدوى فامة بالنسبة لمن لا يؤمن بالخلود ، فان اليأس ينتهي 'لى النتائج التالية :

د لما كان يقال لي ، جوابا على اسئلي عن السعادة ، عبر وساطة 'دراكبي' ، اني لا استطيع ان كون سعيدا إلا خلال التوافق مع الكل العظيم ، الذي لا استطيع ان 'تصوره' ولن يكون في وسعي يوما ان

انصوره ، فانه لن الراضح . . . »

« ولا كنت اتخذ ، نهائيا ، وهذا الصدد ، دور المدعى والمدعى عليه
سما ، دور التهم والناضي ، ولا كنت اعتبر هذه الميزة التي اعدتها الطبيعة
جفاء باكلها ، ولا كنت اعتبر استسلامي للدور وقياي به مريئا . . . »

« بناء على صلاحيتي التي لا يحادل فيها أحد ، باعتباري والمدعى عليه
الناضي والتهم ، فاني احكم على تلك الطبيعة ، التي جاءت بي بكل قسوة
الى الكينونة لكي أعاني ، واقعذب — احكم عليها بالاعدام مهي . . . »

لا يبقى في تلك الرضعية إلا هزل قليل . فهذا المنتصر يقتل نفسه
لانه مكتسب متضايق على المستوى المبتايزيكي . انه ينتقم ، بمعنى من المعاني
وهذه هي طريقته في اثبات انه « لن يتم الظفر به » . ومن 'لمروف ' ،
على كل حال ، ان الفكرة نفسها متضمنة في كيريلوف ، في « اللخوذيين »
ولكن بنعيم اروح ، فكيريلوف هو ايضا من دعاة الانتحار المنطقي .
يقول كيريلوف المهندس في مكان مسا انه يريد ان يأخذ حياته لانها
« هي فكرته » . ومن الواضح ان الكلمة يجب ان تؤخذ بمعناها المقول .
انه يستعد للموت بسبب فكرة ، او فكر . وهذا هو الانتحار لسامي .
وتتقدم اكثر ، عبر سلسلة من المشاهد التي يشع فيها ضوء اكثر على قناع
كيريلوف ، ويتفتح لنا التفكير القاتل الذي يخفزه . وطق ان المهندس
يعود 'لى افكار « المذكرات » . انه يشعر بان الله ضروري ، وانه يجب
ان يكون موجودا . ولكنه يعرف انه لا يوجد ، وانه لا يمكن ويجب
'لا يوجد . وهو يستغرب : « لماذا لا تدرك ان هذا يكفي ليكون سينا

يحمل الرء يقتل نفسه ؟^٥ ويتضمن هذا الموقف بالنسبة له ، كذلك ، بعض نتائج اللاجندوى . فهو يسمح ، عبر اللااكتراث ، باستخدام انتماره لمصلحة قضية يحتقرها . وقررت اس انني لا اكترث . ، واخيراً فهو يعد فعلانه بشمور مزودج من الثورة والحربة . ، ساقبل نفسي لاعلن من لاخضوعي ، سرتبي الجديدة المربعة ، ، لم يعد الأمر متعلقاً بالثأر ، وإنما بالثورة ، ولهذا فان كيريلوف شخصية لاجندية ، — ومع ذلك ، فبهذا 'السرط الاساسي' : انه يقتل نفسه . ولكنه هو نفسه يوضح هذا التناقض : وهو يفعل ذلك بحيث انه يكشف عن السر الالاجندي بكل نقائه . وهو في الحقيقة يضيف الى منطقه الفسادل طموحاً استثنائياً يجب الشخصية جميعها الكامل : انه يريد ان يقتل نفسه ليكون إلها .

والتمثيل العقلي هنا هو كلاسيكي في وضوحه . فاذا لم يوجد الله ، فان كيريلوف هو 'الله' . واذا لم يوجد 'الله' ، فان كيريلوف يجب ان يقتل نفسه . يجب على كيريلوف اذن ان يقتل نفسه ليصبح إلها . وهذا المنطق لا عجب ، ولكنه هو المنطق المطلوب . والتيه المثير ، على كل حال ، هو اعطاء معنى الى تلك القدسية الجاوبة الى 'الارض' . ويسمو الى منزلة توضح للفرضية القائمة بأنه : ، اذا كان الله غير موجود ، فاننا الله ، التي تظل حق الآن غامضة . ومن المهم ان نلاحظ منذ البداية ان الانسان الذي يلقي بذلك الادعاء الجنون هو من هذا العالم حقاً . انه يقوم بتبريناته الرياضية كل صباح ليحافظ على صحته ، ويثيره اقتبطاط شائوف باستمادة زوجته ، ويتم المشور بعد موته على ورقة كان يريد ان يرسم عليها وجهها يخرج لسانه عليهم . ، انه طفولي ومنفل ، وعاطفي ، وقياسي ، وحساس . وليس لديه من 'السوبرمان غير المنطق والانشغال

الفككري ، بينما له من الانسان الكالالوج بأكمله . ومع ذلك فانه هو الذي يتحدث يهدوء عن قديسيه . انه ليس مجنوناً ، ولا فان دوستوفسكي هو المجنون . فن ما يثيره وهما من ارهام مرض جنون المخطئة . واخذ الكلمات بمناها الخاص سيكون هنا مضطرباً .

ولكن كيريلوف نفسه يساعدنا على ان نفهمه . فهو في جواب على سؤال ستافروجين يوضح انه لا يتحدث عن انسان الهى . وقد يظن ان هذا ينبثق من اهتمامه بتمييز نفسه عن المسيح ، ولكن الامر هو في الحقيقة الخلق للمسيح به . فكيريلوف يتصور اللحظة ان المسيح عنده مرقه لم يجده نفسه في الجنة . واكتشف بعد ذلك ان عذابه كان بلا ثمره . ويقول المهندس : « ان قوانين الطبيعة جعلت المسيح يعيش وسط الريف ويوت من اجل زيف » . والحق ان المسيح يصور هنا الدرما البشرية كلها . انه الانسان الكامل ، لانه الذي ادرك أشد الوضعيات لا يجدوى . فهو ليس الانسان الالهى ، وانما هو الله الانسان . ونحن مثله ، يمكن لكل منا ان يصاب ويكون ضحية - بل نحن كذلك الى حد ما .

فالقدسية موضوع البحث هي قدسية أرضية اذن . اذ يقول كيريلوف : « بحثت عن صفة قديسي ثلاث سنوات وعذرت عليها . ان صفة قديسي هي الاستقلال » . ويمكننا هنا ان نرى معنى فرضية كيريلوف : « اذا لم يكن الله موجوداً ، فانا الله » . فان يصبح المرء الها ، هو امر لا يبدو كونه حراً في هذه الارض ، لا أن يخدم كلنا خالداً . وهو قبل أي شيء آخر ، يحتاج لكل البدييات من ذلك الاستقلال المثل . فاذا كان

الله موجوداً ، فكل شيء يعتمد عليه ، ولا يمكننا ان نفعل شيئاً امام ارادته . واذا لم يكن موجوداً ، فكل شيء يعتمد علينا . وبالنسبة لكيريلوف ، كما هو الامر بالنسبة لنيشته ، يكون قتل الله في ان يكون المرء نفسه الها ، وان يدرك في هذه الارض الحياة الابدية التي يتحدث عنها الانجيل^(١) .

بيد انه اذا كانت هذه البرعة المتافيزيكية كافية لتحقيق الانسان ، فلماذا يضيف الانتحار ؟ لماذا يقتل الانسان نفسه ويقادر هذا العالم بعد ان يكون قد حقق حريته ؟ هذا هو تناقض . وكيريلوف يدرك ذلك جيداً ، لانه يضيف : « اذا شمرت بذلك ، فانت قمصر ، وبدلاً من ان تقتل نفسك ، فانك ستعيش ملقها بالجسد » . ولكن الناس عامة لا يعرفون ذلك . انهم لا يشعرون بذلك . فهم غامساً كما كانوا في زمن بروسيتوس يحتفظون بأعمال معينة عساه^(٢) . انهم يحتاجون الى من يدهم على الطريق ، ولا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً بدون الارشاد والوعظ . ولهذا فان كيريلوف يجب ان يقتل نفسه لانه يجب البشرية . يجب ان 'يري' اخوانه عمراً ملكياً صعباً يسير فيه هو قبلهم . انه انتحار لوجيوي ، وهكذا فكيريلوف يقضي بنفسه . بيد انه اذا كان سيصلب ، فانه لن ينهب ضحية . انه يظل 'الله' الانسان ، مقتنماً بوث بلا مستقبل ،

(١) ستافوريجين : « أؤمن بحياة ابدية في 'المالم' الآخر ؟ » ، كيريلوف : « كلا ، ولكن بالحياة الابدية في هذا 'المالم' » .

(٢) لقد اخترع الانسان 'له' فقط لوقت نفسه . هذا مر ملمص تاريخ الكون حتى هذه اللحظة .

مشما بسودارية انجيلية . انه يقول : « أنا شقي لأنني مضطرب الى اعلان حريتي » . ولكنه ما ان يموت ، ويعرف البشر احبباً ، فسيسكن هذه الارض قياصرة ، ويضيء فيها الجسد الانساني . وتكون اطلاقه مسدس كيريلوف اشارة للثورة الاخيرة ، وهكذا فليس اليأس هو الذي يدفعه الى الموت ، وانما جبهه جاره من اجله هو . وقبل ان تنتهي بالدماء تلك 'الغامرة' الروحية التي لا يمكن وصفها ، يبدي كيريلوف بلاحظة هي قدم العقاب البشري : « كل شيء حسن » .

فكرة الانتحار هذه عند دوستوفسكي ، اذن ، هي فكرة لاجدية حقاً . دعنا نلاحظ فقط قبل ان نستمر ان كيريلوف يظهر ثانية في شخصيات اخرى تحرك هي نفسها افكاراً لاجدية اخرى . فان ستانفوجين وايغان كارامازوف بختبران الحقائق اللاجدية في الحياة العملية . انهما اللذان حررهما موت كيريلوف . وهما يحاولان انت يكونا قياصرة ، ويعيش ستانفوجين حياة « ساخرة النفاق » ، ونحن نعرف جيداً من أية ناحية . انه يثير الكراهية حوله ، ومع ذلك فان مفتاح الشخصية موجود في رسالته الوداعية : « لم يكن في وسعي ان احقق اي شيء » . انه قيصر في اللااكترات . وكذلك 'يفان' ، يرفضه التنازل عن قوى الذهن الملكية . وقد يرد على ارنالك الذين هم ، مثل أخيه ، يثبتون بحياتهم انه من الضروري للمرء ان يخضع ويأخذ نفسه لكي يؤمن ، بقوله ان الوضعية مخجلة . ومفتاحه يتمثل في « كل شيء مسموح » مع اضافة ظل مناسب من السودارية . وهو ينتهي بالجنون طبعاً ، كنيسته الذي هو اشهر مثالي الله ، ولكن هذه الجارفة جذيرة بأن يقوم بها المرء ، وحين يراجع الذهن اللاجدي بثل هذه النهايات الفادحة ، فان دافعه

الاساسي هو ان يسأل : « ماذا ثبتت ذلك ؟ » .

* * *

وهكذا فان القصص « كالمذكرات » تمن في بحث مسألة الالاجيدوى .
انها تسبخ المنطق على الموت ، والتسامي ، والخرية و المرعية « ، وبعد
القياسرة « ويكون كل ذلك بشريا . فكل شيء حسن ، وكل شيء
مسموح ، ولا شيء كريه . هذه هي احكام الالاجيدية . ولكن اى
خلق مدهش هذا الذي تلوح لنا فيه مخلوقات النار والجليد هذه مالوفة
بالنسبة لنا . فغالام الالاكذرات « ذلك السالم المنفل في صميم قلوبهم ،
لا يلوح لنسا غريبا او هائلا على الاخلاق . اننا نرى فيه مشاكلنا
ومتاعبنا اليومية . ولعله لم يتفوق على دوستويفسكي كاذب آخر في اعطاه
الغالام الالاجيدي مثل هذه الملائق المألوفة المذنية .

وسمع ذلك « فما هو استنتاجه ؟ مقطعتان الثتان سيكتشفان عن
الانمكاس الميتافيزيكي الكامل الذي يؤدي بالكاتب الى إجابات اخرى .
فحينئذ اثار نقاش ذلك الذي يرتكب الانتحار المنطقي احتجاج النقاد وراح
دوستويفسكي في الاجزاء التالية من « المذكرات » بوضع موقفه ويلمحي
هكذا : « اذا كان الايمان بالخلود ضروريا الى هذا الحد بالنسبة للكانن
البشري (انه بدونه يصل الى حد الانتحار) « فان ذلك يجب ان
يكون اذن المسألة الطبيعية البشرية . ولما كانت هذه هي الحالة فان
خلود لروح البشرية موجود بلا شك « . ونجد ثانية في الصفحات

الاخيرة من قصته الاخيرة ، في ختام ذلك الصراع المائل مع الله يسأل بعض الاطفال اليوشا : و كارامازوف ؟ أصبح ما يقوله الذين من اننا جميعا سلتنض من 'لوت' واننا سنرى بعضنا بعضا ثانية ؟ « ويجيب اليوشا : « بالتأكيد ، سبى بعضنا بعضا ثانية ، وسينجز بعضنا بعضا بفيطة بكل ما كان قد حدث » .

وهكذا يندحر كيريلوف ، وستافروجن ، وابلسان . وتزد قصة و الاخوة كارامازوف « على قصة و الاخوين » ، وهذه هي نتيجة حقا . وليست حالة اليوشا غامضة غرض حالة 'الامير مشكين' . فمشكين المريض يعيش في حاضر دائم ، مصطبغ بالابلسامات واللااكراث ، وقد تكون تلك الحالة السميدة هي الحياة الابدية التي يتحدث عنها الأمير . أما اليوشا ، فانه ، بالعكس ، يقول : « سنتقي ثانية » . وليس هنالك بعد هذا اي اقتحار او سجنون . فلما هي فائدة ذلك لكل من يوقن بالطرد وببسطه ومباهجه ؟ ان الانسان يتخلى عن قديته من أجل السعادة . و سينجز بعضنا بعضا بفيطة بكل ما كان قد حدث ، . ومكذ' ايضا ، فان مسدس كيريلوف انطلق في مكان ما من روسيا ، ولكن العالم ظل يحتفظ بآماله المسمياه . ولم يفهم البشر و ذلك » .

وبالنتيجة ، فانه ليس فاصلا لا جديا ذلك الذي يتحدث البناء ، وانما هو قاص وجودي . وهنا ايضا تكون الفقرة مؤثرة وهي تهب نبلها الى الفن الذي يلهمها . انها موافقة مثيرة ، تحيط بها الشكوك والالغاز ، غير اكيدة ، وملتهية الحاسة . لقد كتب دوستوفسكي عن « الاخوة كارامازوف »

فانذرا : ه المسألة الاولى التي سالتبها في هذا الكتاب هي المسألة ذاتها التي ظلمت اعاني منها طيلة حياتي سواء كان ذلك بصورة مدركة او غير مدركة : وجود الله . ومن الصعب الاعتقاد بان قصة واحدة كانت كافية لتحويل عذاب حياة كاملة الى يقين مقببط . ولقد كتب احد المعلقين قائلا بحق ^(١) ان دوستوفسكي هو الى جانب ايفان وان فصول الانا كيد الايجائي 'ستفرقت ثلاثة اشهر من مجهوداته ، بينما لم يستغرقه مساهمته والجلاد ، غير ثلاثة اسابيع قضاها في حالة من الهياج . وليست هنالك شخصية واحدة بين شخصياته لا تكن 'الشوكة في جسدنا' او لا تريد الامر سوءاً او لا تبحت عن العلاج في التاثر الجسي او الخلود . ^(٢) وعلى اي حال ، دعنا نطل في هذا الشك . وهنا نجد عملا يسمح لنا ، بنقله للاضواء والظلال بطريقة اشد تأثيراً من ضوء النسيار ، ان نقبض على صراع الانسان ضد آماله . وحين يصل الحقائق الى النهسية فانه يقوم بالاختيار بين شخصيه . ويتبع لنا ذلك التناقض ' ان نتوصل الى تغيير . وذلك العمل ليس لاجدياً ، وانما هو عمل يتأمل في مشكلة الاجدوى .

وجواب دوستوفسكي هو الخشوع و'هانة' و'الخييل' ، بالنسبة لستافروجين . وبالعكس ، فان العمل الاليجدي لا يقدم جواباً ، وهذا هو كل الفرق ، دعنا نلاحظ هذا بعناية في النتيجة : فما يناقض الاليجدي في ذلك العمل ليس صفته المسيحية ، وانما اعلانه عن حياة مستقبلية . فمن

(١) بوليس دي شولتز .

(٢) ملاحظة جيد الثرية النافذة : معظم شخصيات دوستوفسكي متعددة الجوانب .

الممكن الجمع بين اللاجدوى والمسيحية ، وهنالك امثلة عن مسيحيين لا يؤمنون بحياة المستقبل . ومن ناحية العمل الفني ، يجب ان يكون ممكننا لذلك تعريف واحد من اتجاهات التحليل الالاجدي الذي كان ممكننا ان 'يستيق' في الصفحات الماضية . انه يؤدي الى التساؤل والامعان في و لا جدوى الانجيل ، وهو يلتقي ضوءاً على هذه الفكرة ، القضية بتأثيراتها الالامافرة ، ان المعتقدات لا تمنع عدم التصديق . بالمكس ، من السهل ان نرى ان مؤلف 'الاخوذون' ، الذي يالف هذه المرات ، اتخذ لنفسه في النتيجة طريقاً مختلفاً . ومن الممكن حقاً تلخيص الجواب لدمش الذي يقدمه الخالق الى شخصياته ، الذي يقدمه دوستوفسكي الى كيريلوف ، هكذا : الوجود وهي وأبدي .

الخلق العابر

افهم في هذه النقطة ، اذن ، ان الأمل أس لا يمكن تجنبه الى الابد ، وانه يستطيع ان يخلق حتى اولئك الذين ارادو ان يتحررو منه . وهذا هو امثامي بالاحمال التي تم بحثها حتى الآن . استطيع ، على لاقل في دنيا الخلق ، ان اضح قائمة بعض الاحمال الالاجدية حقاً^(١) . ولكن كل شيء يجب ان تكون له بداية . وموضوع هذا البحث أمثلة معينة . فالكنيسة كانت خشيعة الى هذا الحد مع المهرطقين لاتبا حكمت بانه ليس هنالك عدو أسراً من طفل فائه . ولكن سجل الاعتذات الكنسية واستمرار التيارات المائكية أدبا الى بناء عقيدة عمياء متعصبة اكثرت بما

(١) « مولي ذلك » بليل ، مثلاً .

أدت الى ذلك كل الصعوبات . وينطبق هذا نفسه على الالاجبدي ، مع التفارق . فالمرء يدرك اتجاهه باكتشافه المرات التي تشذ عنه وتنبه . وفي نتيجة التحليل العقلي الالاجبدي نفسها ، في أحد المواقف التي يفرضها منطقها ، لا يكون من مسائل الاكثرات ان نجد الأمل يعود ثانية تحت واحد من افئفئة المؤثرة . وهذا بين صوبة التنسك الالاجبدي . وهو يكشف قبل اي شيء آخر عن الحاجة الى تيقظ دائم ، ومكثف فهو يؤكده على لحظة العامة في هذا البحث .

يبد انه اذا لم يحن الوقت بعد لتعداد الأعمال الالاجبدي ، يمكننا ان نصل الى نتيجة بشأن الخلق الالاجبدي ، واحدة من تلك النتائج التي يمكن ان تكمل الوجود الالاجبدي . فلا يمكن ان يخدم الفن شيء مثل الفكر السلي ، لأن مداخله المنظمة المباشرة ضرورية لفهم العمل العظيم تماما كملاقاة الاسود بالنسبة للابيض . فالعمل والخلق ، ه من اجل لا شيء ، والنعته في الطين ، ومعرفة ان ما يخلقه المرء ليس له مستقبل ، وان يرى المرء عمله يدهر في يوم ، بينما يدرك ان ليس لهذا اهمية اكثر من 'همية البناء لقرون -- هذه هي الحكمة الصعبة التي يقول بها الالاجبدي . والقيام بالثين المسؤوليين في وقت واحد ، والنهي من فاحية ، والتضييق من الناحية الاخرى ، هو الطريق المفتوح أمام الخالق الالاجبدي . يجب عليه ان يعطي الخواه ألوانه .

ويؤدي هذا الى مفهوم خاص عن العمل الفني ، فغالباً ما يتم النظر الى عمل الخالق باعتباره سلسلة من الادلة المتميزة ، وهكذا يتم الخلط بين

الفنان والأديب . وللكمكر العميق هو في حالة من الضرورة الدائمة ، انه يلقي تجربة حياة ويأخذ شكلها . وكذلك ، فان المطلق الوحيد للانسان يتميز بظاهرة التعددة المتنامية ؛ اعماله . فهي ، واسمداً بعد الآخر ، يكل احدها الآخر ، ويناقض بعضها بعضاً ايضاً . واذ جعل شيء ما ذلك المطلق ينتهي فانه ليس النداء المنتصر 'لوهي الذي ينادي به الفنان الاعمى ؛ ' لقد قلت كل شيء ' واثمناً هو موت الخالق الذي يخلق تجربته وكتاب نبوغه .

وأما الجهود ، وذلك الادراك الذي هو أسمى من الانسان ، فيها لا يتصمان للقاء ، بالضرورة . وليس هنالك سر غامض في المطلق البشري ، وإنما تقوم الإرادة بأداء هذه المجزأة ، بيد انه ، على الأقل ، لا يوجد خلق بدون سر . وإلحق انه تناساً من الاعمال يمكن ان يكون فقط سلسلة من مقاربات المعكر ذاته . ولكن من الممكن فهم ونصور نوع آخر من الخالق الذي يعمل بواسطة وضع الامور احدها بجانب الآخر ، وقد تلوح اعالمهم خالية من العلاقات فيما بينها ، وهي ، الى حد ما ، متناقضة . ولكننا اذا نظرنا اليها محتمة ، وجدناها تستعيد تصنيفها الطبيعي . 'أنا تستمد من لوت ، مثلاً ، منزاها التعريفي . وهي تستمد أوضح أوضاعاً من حياة مؤلفها . وفي لحظة الموت لا يكون تتسابع اعماله الا مجموعة من النتائج الدائمة . ولكن ، اذا كان لتلك النتائج الناشئة نفس النعمة ، فان الخالق قد نجح في تكرار صورة حالته هو ، وجعل الهواء يتردد بصدى السر المقيم الذي كان يملكه .

والجهد المبذول للسيطرة كبير هنا . ولكن الذكاء البشري قادر

على كثر من ذلك . فلن يشير الا الى المظاهر الطوعى للخلق بوضوح . وكنت في مكان آخر قد ذكرت انه ليس للارادة البشرية هدف آخر غير الاحتفاظ بالوعي . ولكن هذا لا يمكن ان يتم بدون نظام وضبط . والخلق هو أحد مدارس التعبير والوضوح تأثيراً . وهو أيضاً الدليل القاطع على كرامة الانسان الوحيدة : الثورة المتبعة ضد حالته ، والاستمرار المصير في جهود يمتد عتياً . انه يستعني 'الجهود اليومية' والسيطرة الذاتية ، والتقدير المضبوط لحدود الحقيقة ، والقياس ، والقوة . وهو يولف تنسكاً . ركل ذلك من اجل هـ لا شيء ، ، لتكرار الزمن وتعيينه . ولعل للعمل الفني المعاني أهمية أقل ، ، يجد ذاته ، من المعاناة التي يتطلبها من الانسان ، والفرصة التي يقدمها له لمتقلب على إشاحه ويقرب اكثر قليلا من واقعه العاري .

* * *

دعنا لا نخطئه بخصوص الجملات . اني لا أدعو هنا الى البحث الصبور ، والتوضيح الدائم العقيم لفرضية ما ، بالمكس ، بشرط ان يكون قد جعلت نفسي مفهوماً بوضوح . فرواية الهدف البروض ، والعمل الذي يثبت ، بل اشدها اثاراً للكرامية ، هو ذلك الامسل الذي غالباً ما يكون من الهام الفكر المفرور المكتفي بنفسه ، فانت تعرض الحقيقة التي تشعر بيقينك من ملكيتك لها ، ولكن هذه فكريات يطلقها المرء ، والفكرات تختلف عن الفكر ، انها نقيضته ، وهؤلاء الجاللون هم فلاسفة خجلون من انقسام . امسا اوائك الذين أتحدث عنهم ، او أنجيلهم ، فهم ، بالمكس ، مفكرون واضعون . ففي نقطة معينة ،

حين يعود الفكر على نفسه ، يرفعون عاليًا صور اعمالهم كالرموز الواضحة
لفكر محدود ، فإني ، تأثر .

ولملم يثبتون شيئًا . ولكن تلك البراهين هي تلك التي يقدمها
الروائيون لأنفسهم ، وليس للعالم بصورة عامة . والامر الاسامي هو
ان الروائيين يجب ان يقتضروا في اللبس وان هذا هو ما يؤلف نبلمهم .
وهذا الانتصار الجسدي تمامًا قد أعده لهم فكر تم فيه انخضاع القوى
التجريبية . وحين يكونون كذلك تمامًا ، يحصل الجسد ذلك المطلق في
الوقت نفسه يستطيع بكل بريقه اللاعجدي . وبمسد كل ذلك ، قالت
الفلسفات الساخرة المتعارضة تنتج اعمالًا متحمسة محتمة .

واي فكر يتخلى عن الوحدة إنما يعظم التنوع ولاختلاف ، وهذا
هو وطن الفن . والفكر الوحيد الذي يجرر الذهن هو ذلك الذي يتركه
وحده ، وإثنا من حدوده ونهايته المقربة ، لا تعزبه عقيدة مسا . أنه
ينتظر فزعج العمل ، والحياة . وبانفصال العمل عنه ، فإنه يعطي مرة
أخرى صوتًا غير مكتوم لروح حرة أبدًا من الأعمال . او انه لن يعطي
صوتًا لشيء ، اذ كان الخالق ، وقد أتبعه نشاطه ، ييل الى النكوص .
وهذا معادل .

* * *

وهكذا فإني اطلب من الخالق اللاعجدي ما طلبته من الفكر - الثورة ،
والحرية ، وبعد ذلك فإنه سيكشف عن ثقافته التامة . وفي ذلك الجهود
اليومي الذي تنتج فيه حاسة الانفعال والذكاء ويسبح احداهما الآخر
يكشف الانسان اللاعجدي ضبطًا يؤلف بالنسبة له أعظم قواه . وهكذا ،

فان الانبياء المطارب ، والمتابمة والوضوح تشبه موقف الفاتح . فالخالق يشبه اعطاء شكل لمسير المراء . والنسبة لكل تلك الشخصيات ، تقوم اعمالها بتعريفها ، تماما كما تسبح هي التعرف على الاعمال . لقد علمنا المثل هذا ؛ ليس هنالك حد بين الكينونة والمظهر .

دعني اكرر . ليس لكل هذا اي معنى حقيقي . وفي الطريق نحو تلك الحرية ما يزال هنالك تقدم يجب تحقيقه . والجهود النهائية بالنسبة لتلك الازدهان المتعلقة ببعضها ، الخالق او الفاتح ، هو ان يحاولوا ان يتجسروا انفسهم من الامور التي يظلمون بها ايضا ؛ ان يتجسروا في الاقرار بان ذلك العمل نفسه ، سواء كان فتسا ، او غراما ، او خلقا ، قد لا يكون ايضا ، وبذلك فهم يحققون التفاهة الكاملة لاية حياة فردية . ولحق ان ذلك يعطيهم حرية اكثر في ادراك ذلك العمل ، تماما كما ان وعيهم للاجدرى الحياة شروهم ان يفرقوا فيها بكل افراط .

كل ما يبقى هو مصير لا يكون الاحصاء قتالا ، وخارج هذه النصفة القتالة في موت ، يكون كل شيء ، سواء النسيطة او السمادة ، حرية . ويظل عالم يكون الانسان سيده الوحيد أما ما ربطه فهو وهم عالم آخر . وأما حصاد فكره ، الذي يكف عن كونه تابدا ، فانسه يزدهر في صور . انه يرح - بالاساطير ، حقا ، ولكنها اساطير لا تحتوي على عمق غير عمق المذاب البشري ، وهي مثله غير مستنفدة . ليست المراقبة القدسة التي تسلي وتحمي ، وانما الوجه الارضي والحركة والدراما الارضيان ، التي تتلخص فيها حكمة صعبة وعاطفة منقطة قصيرة العمر .

السطورة سيزيف

حكمت الالهة على سيزيف بأن يرفع صخرة بلا انقطاع الى قمة الجبل حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية . لقد ظنوا لسبب مقبول انه ليس هنالك عقاب ابشع من العمل اللئيم الذي لا أمل فيه .

فاذا صدق المرء ما يقوله هوميروس ، فان سيزيف كان أشد اللعازين حكمة وحصافة . وتروي رواية أخرى ، على كل حال ، انه كان ميالا الى مهينة قاطع الطريق . ولست أرى اي تناقض في هذا . وقد اختلفت الآراء بشأن السبب الذي جعله يعمل بلا جدوى في العالم السفلي . ولتبدأ بالقول بأنه متهم بالسخرية بالالهة . لقد سرق اسرارها . فقد اختلف جوبيتر إيكينا ابنة إيسوبس ، وتأثر الوالد من 'خطاها' وشكا امره الى سيزيف . ولما كان سيزيف يعلم بأمر الاختطاف فقد عرض على إيسوبس ان يجبره عنه على شرط ان يعطي ماء الى قلعة كورنث . لقد فصل بركة الماء على الرعد السماوي ، وعوقب على ذلك في العالم السفلي . ويخبرنا هوميروس ايضا بأن سيزيف كان قد وضع الموت في الاغلال . ولم يجتسل بلوتن منظر امير'طوريقه الصامتة المهجورة ؛ فالرسل اليه الحارب الذي حرر الموت من يد داحره .

ويقال أيضاً ان سيزيف ، لقربه من الموت ، اندفع الى اختبار حب زوجته ، وطلب منها ان تلقي يحمته غير المدفونة وسط الساحة العامة. وبسقيظ سيزيف في العالم السفلي . وهناك ، حين ضايقته الطاعة المناقضة للحب البشري ، حصل على الاذن من بلوتن بالعودة الى الأرض لكي يعاقب زوجته . ولكنه حين رأى وجه هذا العالم مرة أخرى ، ونعم بالماء والشمس ، والمضجور الدافئة والبحر ، لم يرد ان يعود الى الظلام الجهنمي ولم يجد معه النداءات وعلامات الفئسب والتعذيرات . وعاش عدة سنوات موحياً تقوس الخليج ، وتائق البحر ، وابتهامات الأرض . وصار ضروريا ان يصدر مرسوم من الالهة . واقبل عطارده (اله البلاغظة) وقبض على الرجل الضيق من ياقته ، وبعد ان اختطفه من مسراته ، قاده بالقوة الى العالم السفلي ، حيث كانت الصخرة معدة له .

لقد فهمت الآن ان سيزيف هو البطل اللاتحي . وهو كذلك صبر عواطفه بقدر كونه كذلك عبر عذابه . واحتقاره للالهة ، وكرمه للموت وعاطفته التعمسة للحياة ، أدت تلك الأمور كلها الى ذلك المقاب الرهيب الذي يكرس فيه الكيان كله من أجل تحقيق اللاتحي . وهذا هو التمن الذي يجب ان يدفع لقائه اتصالات وعواطف هذه الأرض . ولا شيء يقال لنا عن سيزيف في العالم السفلي ، لأن الاساطير تعد للخيال لينتفع الحياة فيها . أما بالنسبة لهذه الأسطورة ، فان المرء يرى جمود الجسد كله يتوتر ليرفع الصخرة ، ليعر كما ، وليدفعها الى الاعلى ، فوق منحدر يرتفع مائة مرة . ويرى المرء الوجه ملتوياً ، والخذ متوراً بجانب الصخرة ، والكثف وهو يماق الكتلة المطاة بالطين ، والقدم وهي تستند لتدفع والساية الجديدة والساعدين وهو يشورها ، واليدين البشريتين المنطالين

يبقى الطين . وفي نهاية جهوده الطويل الذي تقاس بفضاه لاجو له ولا سماء ، وزمن لا محق فيه ، يتم تحقيق الهدف . ثم يرقب سيزيف الصخرة وهي تتدحرج الى اسفل في حلقات ممدودات ، نحو ذلك العالم السفلي الذي يجب عليه ان يرفعها منه ثانية نحو القمة . ويعود الى السهل .

واثناء تلك العودة ، تلك الرقعة ، يحيي امر سيزيف . الوجه الذي يشتد قريبا من الصخور هو نفسه صخرة ! اني ارى ذلك الرجل وهو يعود هابطا الى اسفل بخطوة ثقيلة ، ولكنها منتظمة ، نحو المذاب الذي لا يعرف نهايته . تلك الساعة ، كالفضاء المتنفس ، بالتأكيد ، كيقين عذابه تلك هي ساعة ادراكه . وفي كل حلقة من هذه المحطات التي يتناور فيها الذروة ويهبط تدريجيا نحو ممكن وحوش الالهة ، يكون اسمى من مصيره . يكون اقوى من صخرته .

فاذا كانت هذه الاسطورة تضم مأساة ، فذلك لان بطلها مدرك . ان ابن سيكون عذابه ، حقا ، اذا كان الأمل في النجاح يرفعه في كل خطوة ؟ ان العامل اليوم يشتغل في كل يوم من ايام حياته بنفس الامور ، وليس هذا المصير أوّل لا جدوى . ولكنه يكون مأساة فقط في المحطات النادرة التي يكون فيها مدركا ، وسيزيف ، بروتستاري الألهة ، الذي لا قوة له ، والثائر ، يعرف كل مدى حالته الشقية البائسة : وذلك هو ما يفكر به اثناء هبوطه . والوضوح الذي كان سيؤلف عذابه يتوحد في الوقت نفسه انتصاره . وليس هنالك مصير لا يمكن ان يعاونه الاحتقار .

* * *

أصل

فإذا كان المبرط يتم أحيانا بأهجي ، فإنه يمكن ان يتم بنمطه ايضاً . وهذه الكلمة لا تضم اكثر مما ينبغي . وانتي لاتصور سيزيف قاذبة وهو يعود نحو الصخرة ، والاسى كان في البداية . وحين تلتبث صور الارض بشدة بالذاكرة ، وحين يشتد الطاح نداء السعادة ، يحدث ان السوداوية تنبثق في قلب الانسان ؛ وهذا هو انتصار الصخرة ، وهذه هي الصخرة ذاتها . فالطرن الذي لا حد له اقل من أن يحتل . وهذه هي ليلارعبنا وعذابنا . ولكن الحقائق الساحقة تقني بالاعتراف بها . وهكذا فان اوديب يطبع المسير في البداية ، دون ان يكون عالماً به . ولكن منذ اللحظة التي يعرف فيها ، تبدأ مأساته . الا انه في الوقت نفسه ، حين يكون أعمى ، يأساً ، يدرك ان الرابط الوحيد الذي يربطه بالمعالم هو اليد الباردة لفتاة . ثم تنبثق ملاحظة هائلة : « بالرغم من كل هذه المماثلة ، فان تقدم سي ، ونيل روسي يميلاني أنتهي الى ان كل شيء حسن » . و اوديب (سوفوكليس) ، مثل كيريلوف (دوستوفسكي) يقدم وصفة الاتصاف الاليجدي بهذا . وهكذا تثبت الحكمة القديمة البطولة الحديثة .

ولا يكشف المرء الاليجدي دون ان يشعر بالبل الى كتابة وصفة للسعادة . « ماذا ؟ بئس هذه الطرق الضيقة ؟ » هنالك عالم واحد فقط ، على كل حال . والسعادة والاليجدي طفلان للارض ذاتها . وهما لا تنفصلان . ومن الخطأ القول بأن السعادة تنبثق بالضرورة من الاكتشاف الاليجدي . ويحدث كذلك ان الشعور بالاليجدي ينبثق من السعادة . ويقول اوديب : « انتهى الى كل شيء حسن » . وتلك ملاحظة مقدسة . انها تتردد كاهدى في عالم الانسان الموحش المحدود . وهي تعلمنا ان كل شيء لم يستنفد حتى الآن . وهي تطرد من هذا المعالم إلهما كان قد

جاء اليه وهو غير قانع ، مفضلا العذاب المتأفف . انها تجعل المصير أمرًا بشرياً ، يجب ان تتم تسويته بين البشر .

يكن كل سرور سيزيف الصعامت هنا . ان مصيره يخصه هو ، وصخرته هي شيء هو . وكذلك فان الانسان اللاعبدى ، حين يتأمل في عذابه ، 'يهتمت' كل الاصنام . وفي الكون الذي يعود فجأة الى صوته ، تنبثق الاصوات الصغيرة المسائلة التي لا حصر لها . وهي ، بكونها غير مدركة ، وندامات خفية ، ودعوات من كل الوجوه ، الثمن والقبض الضرويان للنصر . فليست هنالك شمس بلا ظل ، ومن الضروري ان يعرف المرء الليل . والانسان 'اللاعبدى' يقول نعم ، ولان يكف عن بذل مجهوده . فاذا كان هنالك مصير شخصي ، فليس هنالك قدر أسهى ، او ان هنالك واحداً على الأقل يستنتج انه حتمي ، يموت . أما بالنسبة لبقية الامور ، فهو يعرف انه سيد أيامه . وفي اللحظة الدقيقة التي ينظر فيها الانسان الى اطراف يستعرض حياته ، حين يعود سيزيف الى الصخرة ، في ذلك الدوران القليل يتأمل في تلك السلسلة من الغماليات اللامرتبطة ببعضها ، التي تصبح مصيره ، الذي يخلقه هو ، والذي يخرج تحت عين ذاكرته ، وسرعان ما يحتّم عليه موته . وهكذا فهو يستمر في سيره ، مقتنعاً ، بالاصل البشري قائماً لكل ما هو بشري ، كالأعشى المتهلّف الى الرؤية ، الذي يعرف ان الليل لن ينتهي أبداً . والصخرة ما تزال تتسحرج .

سأترك سيزيف عند قاعدة الجبل ! فالمرء دائماً يجد عبثه ثانية .

ولكن سيزيف بملأنا الأمانة الأسمى ، التي تنتهي الالهة وترفع الصغور .
وهو ايضا ينتهي الى ان كل شيء حسن . وهذا الكون الذي يطل الآن
بلا سيد ، يلوّح له غير عقيم ، وغير فاه . فكل ذرة من تلك الصخرة ،
وكل قطعة معدنية من ذلك الجبل الذي يلاؤه الليل ، يجد ذاتها تولىف
عالمًا . ولصراع نفسه نحو الاعالي يكفي لملأ قلب الانسان . ويجب
على المرء ان يتصور سيزيف سمبداً .



ملحق

الامل واللاجدوى في مؤلفات فرانز كافكا

يتألف فن فرانز كافكا كله من قسر القاريء على اعادة القراءة ونهاياته ، او عدم وجود النهايات لديه ، توحي بتفسيرات هي ، على كل حال ، غير مطاة بلغة واضحة ، وإنما قبل ان يلوح انها مبررة ، تتطلب اعادة قراءة القصة من وجهة نظر اخرى . هنالك احياناً امكانية مزدوجة للتفسير ، ومن هنا تثبت الحاجة الى قراءتين . وهذا هو ما كان المؤلف يريد . ولكن سيكون من الخطا ان نحاول ان نفس كل شيء عند كافكا بالتفصيل . فالرمز هو دائماً عام ، ومهما كانت الترجمة مضبوطة ، فان الفنان لا يستطيع ان يعيد اليه الا سره : لانسه ليس هنالك تفسير كلمة بكلمة . واكثر من ذلك ، فليس هنالك شيء اصعب على الفهم من العمل الرمزي . فالرمز دائماً يسبق ويفوق من يستخدمه ويحمله يقول في الواقع اكثر عما هو مدرك لتعبيره عنه . وفي هذا الصدد ، فان افضل وسائل الامساك بالرمز لا تتمثل في الآراء ، وإنما في البدء بالعمل بدون موقف سابق ، وعدم البحث عن صفاته الحفية . ومن العدل بالنسبة لكافكا على وجه التخصيص الاتفاق مع أسسه وقواعده ، وتناول الدراما عبر سطحها الخارجي ، والقصة عبر شكلها .

الرومة الاولى ، وبالنسبة للقارىء الذي يتناولها بالصدفة ، بلوح ان
مغامرات مثيرة مثقلة تدفع بشخصيات مزلة ملاحقة نحو متابفة مشاكل
لا تفرسها هي . ففي و الحاككة ، نجد جوزيف ك . متسما ، ولكنه لا
يعرف باذا . وهو بلا شك متلف للدفاع عن نفسه ، ولكنه لا يعرف
لماذا . ويحد المحامون قضيتة صمية . وفي الوقت نفسه فانه لا يعمل الطيب
وتناول الصمام او قراءة صحيفته . ثم يحاكم ، ولكن غرفة المحكمة مظلمة
جداً ، وهو لا يفهم الكثير ، رائفا يفترض فقط انه محكوم ، ونفا باذا ؟
انه لا يتسامح . وهو في بعض الاحيان يشك بذلك ، ولكنه يستمر في
بعض الاحيان يشك بذلك ، ولكنه يستمر في الميش . ويأتي بعد ذلك
سيدان ميثان ليدعوا الى مرافقتها ، وما يقودانه بكل بحامة الى
ضاحية بانسة ، ريفمان رأسه على صخرة ويقطمان رقبته . ولا يقول
المحكوم قبل الموت غير : « مثل كلب » .

وهكذا ترى انه من الصعب التحدث عن رمز في حكاية صفتها الاشد
وضوحاً هي الطبيعية . ولكن الطبيعية نوع صعب على الفهم . وهناك
أعمال أخرى (أقل وأندر حفا) نجد فيها الشخصيات تعتبر ما يحدث
لها امراً طبيعياً . ويتعارض غريب ، ولكنه واضح ، كلما كانت منامرات
الشخصية استثنائية ، زادت طبيعية القصة ؛ ويكون ذلك متناسباً مع
التحول الذي لشعر به بين غرابة حياة انسان والبساطة التي يقبل بها
الانسان تلك الحياة . ويلاحظ ان هذه الطبيعية هي طبيعية كافكا .
وبالضبط ، يدرك المرء ما تمنيه و الحاككة . . لقد تحدث الناس عن
صورة لوضع البشرية . حقاً . ومع ذلك فانها أبسط وأشد تعقيداً
مما . اعني ان منزى القصة هو أكثر خصوصية ، وشخصي أكثر ، بالنسبة

لكافكا . قال حد ما ك نجد انه هو المنحدث ، رغم انه معروف في . انه يمشي ويحكم عليه . وهو يعرف هذا من الصدمات الاولى للفتنة التي يستبها في هذا العالم ، و اذا حاول ان يراقق هذا فانه يعمل ذلك بدون دمنة . ولن يتكشف عن استمرار كاف من عدم وجود الاستمرار . ويتم عبر مثل هذه التناقضات ادراك الالامات الاولى للعمل اللاحدي . فالذهن يسبح على المموس مأساته الروحية ، وهو يستطيع ان يفصل ذلك فقط بتعارض دائم يضي على الاراء القوة على التعبير عن 'خواه' ويضفي على الحركات اليومية الاعتيادية القوة على ترجمة المطامح الابدية .

وكذلك فان و القلم ، ربما تكون لاموت 'لغالبية' ، ولكنها قبل اي شيء آخر التجربة الفردية لروح تبحث عن عطاءها المقدس ، لرسل يطلب من موضوعات حاله ان تجزئه بسرها الملصكي ، وللنساء ، علامات الاله الذي ينم فيهن . والتحول ، بدوره ، يمثل بالناتكيد التصور الرعب لاجلالية الرضوح . ولكنه ايضا نتاج تلك الدمنة التي لا احد لها والتي يشعر بها الانسان نحو ادراكه للوحش الذي يصيره بدون ان يبدل في ذلك مجوداً . وفي هذا الغموض الجذري يكن سر كافكا . وهذا التردد الدائم بين الطبيعي والاستثنائي ، بين الفردي والكوني ، بين المأساة والاعتيسادية ، واللاجذري والمنطقي ، يظهر في اعماله ، وهو الذي يربها نفمتها ومعناها . وهذه هي التمارضات التي يجب ان 'نحصى' وتعود ، والتناقضات التي يجب ان تبرز وتقرى من اجل فهم العمل اللاحدي .

والرمز ، حقاً ، يتخذ مستويين ، عالمين الافكار و الاحاسيس ، وقاموسا

للمراسلات بينها. وهذا القاموس هو اصعب الامور . ولكن الشيقظ الى
 العالمين اللذين يواجه احدهما الآخر يسمو الى منزلة العثور على رأس الخط
 في علاقتها الخفية . وعند كافكا ، نجد ان هذين العالمين هما عالم الحياة
 'اعتيادية من ناحية . ومن الناحية الاخرى ، عالم القلق فوق الطبيعي'^(١) .
 ويروح اننا نشهد هنا استعادة لا نهاية لها من ملاحظة نيتشه : والمشاكل
 المظيمة في الشارح .

مثالك في الوضعية البشرية (وهذا هو أمر مألوف في كل الآداب)
 لا جدوى أساسية بالإضافة الى النبل الصامد الثابت . ويجتث الانسان
 مما ، كما هو طبيعي . ويتم تقبل الاثنين معاً ، معنى اكرر ، في الانفصال
 المضحك الذي يفرق بين افراطنا الروحي وبين غمطات الجسد قصيرة
 العمر . والشئ الواحدي هو ان روح هذا الجسد هي التي يجب ان
 تخضع لذلك التفوق اللاطبيعي لفرط . وكل من يريد ان يصور هذه
 الابدوى يجب ان يعطيسا الحياة في سلسلة من التعارضات المتعددة
 المتوازنة . وهكذا فان كافكا يعبر عن المأساة بالاعتبادي اليومي ، وعن
 الابدوى بالمنطقي .

والمثل يجب قوة اكثر للشخصية التي تمثل المأساة كلما اهتم اكثر

(١) يجدد في 'ن الاخط هنا ان اعمال كافكا يمكن ان تفسر بصورة مشروعة ايضا باعتبارها
 نقدا اجتماعيا (كما هو الامر في « هلاكته » مثلا) . واكثر من ذلك ، فمن المحتمل انه لا حاجة
 هناك تدعو الى 'لاختيار ، فالتفسيران متوازن ، وبالتالي للاجدي ، كما رأينا ، تكون الثورة
 ضد الشر موحية ايضا ضد الله : لأن الثورات المظيمة هي دائما مبتايريكية .

بعدم المسالفة . وإذا كان معتدلاً ، فإن الرعب الذي سيوحى به لن يكون معتدلاً . وفي هذا الصدد ، نجد ان المأساة الاغريقية غنية بالمعطيات . فالحصير يحظى بالفهم في العمل الذي يصور المأساة اكثر فاكثر كلما كان ذلك تحت ستر المنطق والطبيعية . ومصير اوديب يمثل مقدماً ، ويتم بدواعج فوق طبيعية تقرر انه سيؤككب القتل والزنى . وينصب مجهود اللراما كله في اظهار النظام المنطقي السلي الذي سيتوج سوء حظ البطال ، من استنتاج الى استنتاج آخر . ولحق انت اعلان ذلك المصير غير 'اقتصادي' لنسا هو أمر غير مرعب ، لأنه غير محتمل . بيد انه ذاتم الكشف عن ضرورته لنا في اطار الحياة اليومية الاعتيادية ، والمجتمع ، والدولة ، والعاطفة المألوفة ، فان الرعب يتسع . وفي تلك الاثورة التي تترز الانسان وتجعله يقول : « ليس ذلك ممكناً » ، هنالك عنصر من البقاء الميأس الذي يقول بأن « ذلك » يمكن أن يكون .

وهذا هو كل سر المأساة الاغريقية ، او سر واحد من مظاهرها على الأقل . لان هنالك سر آخر سيساعدنا ، بطريقة عكسية ، في فهم كائنا فيما أفضل . فالقلب البشري يميل حبسلاً مضجراً الى ان يطلق تسمية المصير على ما يسحقه فقط . ولكن السعادة ، وكذلك ، وبطريقها ، هي بلا سبب ، طالما انها حتمية . والانسان الحديث ، على كل حال ، يعتبر نفسه مصدرها حين لا يقتل في رؤيتها . وبالعكس ، فبمكنتنا ان نقول الكثير عن مصائر المأساة الاغريقية ، تلك المصائر المتنازعة ، ورائك الذين يحاطون بالامتيازات في الاساطير ، مثل يولييس ، اذ نجدهم 'ينفذون' من انفسهم وسط أشد المفامرات هولاً . فلم تكن العودة الى ايثاكا سهلة هكذا .

وما يجب علينا ان نتذكره في اية حالة هو تلك المشاركة الخفية التي تربط بين المنطقي والاعتيادي وبين ما هو مأساة . وهذا السبب فان سامسا ، بطل و التصول الشخصي « هو بائع متجول . وهذا ايضا هو السبب في ان الامر الوحيد الذي يلقاه في المغامرة الغريبة التي تحوله الى حيوان طافي هو ان رئيسه سيقتضيه لغيابه . تنمو السيقان والجسات ، ويتقوس عموده الفقري ، وتظهر بقع بيضاء على بطنه ، و — لن اقول انت هذا لا بد منه ، لأن التأثير سيفسد — لكن ذلك سبب له و ضعفا بسيطا » .

وفن كافكا كله يتميز بهذا . وفي كتابه المركزي و القلمة ، تنهض تفاصيل الحياة اليومية بارزة ، ومع ذلك ففني تلك القصة الغريبة التي لا ينتهي فيها شيء ، و نأجباً فيها الاشياء مرة أخرى ، نجف المغامرة الاساسية للروح المباحثة عن عظامها المقدس ، وتلك الترجمة للمشكلة الى فعالية ، وترافق حدوث العام والخاص وملحوظات كذلك في الرسائل الصغيرة التي تخص كل خالق عظيم . وفي ه المجازمة ، كان يمكن ان يسمى البطل شددت ار فرائز كافكا . ولكنه يسمى جوزيف ك . انه ليس كافكا ، ومع ذلك فهو كافكا . انه اوروفي اعتيادي . وهو كالأخوين . ولكنه ايضا الكيان ك . الذي يمثل س في معادلة الجسد .

وكذلك ، فانه اذا اراد كافكا ان يعبر عن اللاجذوي فانه سيستخدم الناسك . وانت تعرف قصة الاحق الذي كان يصطاد في حوض الحمام . وسأله دكتور يحمل افكاراً عن العلاج النفسي : « هل هي تمض على الطعام ؟ » وحصل على الجواب الجشع : « بالذبح لا ، أيسا لآحق ، طالما ان هذا هو حوض الحمام . » وهذه القصة تعود الى النمط الشاذ

المروفي ، ولكننا نستطيع ان نلمس فيها بوضوح ظم الى اي حد ترتبط
'النمجة' الالاجدية بالافراط في المنطق . وعالم كافكا هو في الحقيقة كون
لا يمكن وصفه يسمح فيه الانسان لنفسه بالعرف المذهب المتمثل في
الاصطاد في حوض الحمام ، عالما بأنه لا شيء سينتج من ذلك .

وبالتالي ، أرى هنا عملا لا جديا في مبادئه . أما بالنسبة ، للمحاكمة ،
مثلا فانهي يستطيع حقا ان اقول انها نجاح كامل . فالجسد يفوز ، ولا
شيء يهزمه ، لا الثورة اللامعبر عنها ، (وانما هي التي نكتب) ، ولا اليأس
الواضح الصامت (ونا هو الذي يخلق) ، ولا تلك الحرية المدمنة في
'طريقة' تلك الحرية التي يمثلها الاشخاص حق موتهم النهائي .

* * *

ومع ذلك فان هذا العالم ليس مغايفا كما يلوخ . ففي هذا الكون
الحالي من التقدم ، سيقدم كافكا الأمل بشكل غريب . وفي هذا الصدد
فان د المحاكمة ، و د القلمة ، لا تيمان عين الاتجاه . رائد تكل اعداها
الأخرى ، و لاستمرار الحسوس بصورة ضيقة ، الذي يحدث من واحدة
نحو الأخرى مثل فتوحا هائلا في دنيا التجنب . و فالحاكمة ، فمن التأمل
في مشكلة نجد أن د القلمة ، الى حد ما تحملها . فالأولى تصف طبعا
لطريقة شبه علمية ويدون ان تستنتج . والثانية ، الى حد مسا تقس .
و المحاكمة ، تصف الاعراض ، بينما تصف د القلمة ، العلاج . ولكن الدراء
المقترح هنا لا يشفي . انه فقط يعيد المرض الى الحياة الاقتصادية . انه

يساعد على قبوله . وهو بمعنى معين ، (دعنا نفكر في كير كغارد)
يحمل الناس يحتفظون به باعتزاز . فسلح الاراضي ك لا يستطيع ان
يتصور قلعا آخر غير القلق الذي يعذبه ، والناس المحيطون به انفسهم
يصبحون مسلمين ومرتبطين بذلك الخواء ، وذلك الام الذي لا اسم له ،
وكان المماناة اتخذت في هذه الحالة مظهراً متنازلاً . تقول فريدا لك :
(كم احتاج اليك ، وكم اشتهر بالوحدة ، منذ عرفتك ، حين لا تكون
معني .) وهذا العلاج البارح الذي يجعلنا نجيب ما يسحقنا ويجعل الامل
ينبت في عالم بلا حصيلة ، هذه و النفرة « المفاجئة التي يتغير أثناءها كل
شيء » هي سر لثورة الوجودية و سر و القلمة و نفسها .

مؤلفات قليلة جداً يمكن ان تفوق و القلمة ، في قوة دواوراتها .
يعين ك مساحاً للاراضي للعلمة ، وهو يصل الى القرية . ولكن من الصعب
الاتصال بين القرية والقلمة . ويسمر ك خلال مثلث الصمحات في البحث
عن طريقه . ويقوم بكل رسيطة و يستخدم كل حيلة و اجراء ، ولا
يعصب و يجارل بنية حسنة لا مكثرة ان يقوم بالاعباء المهمة اليه .
وكل فصل جديد هو خيبة جديدة ، وكذلك بداية جديدة ، فالامر ليس
منطقاً ، و إنما هو طريقة متأسكية . ويقولف مدى ذلك الاصرار صفة العمل
الشيعة بالمأساة . وحين يتلن ك الى التلمسة ، يسمع اصواتا مضطربة
مترجمة ، وضحكات غامضة ، ودعوات بعيدة . ويكفي هذا ليطلعهم أهله ،
كتلك الملامات القليلة التي تظهر في سماه الضيف أو تلك البوادر المسائية
التي تولف سبب المعيش بالنسبة لنا . وهنا نجد سر السوداوية المألوفة في
كافكا ، وهذا هو نفسه الذي نجده في الحقيقة عند بروت او في مناطر

بلوتينوس : حينئذ كُتِبَ الى فردوس مفقود . وتقول أولغا . و أصبحت حزينة جداً حين اخبرني بارثاس في الصباح بأنه ذاهب الى القلعة : تلك الرحلة التي يحتمل ان تكون ثاقبة ، ذلك اليوم الذي يحتمل ان يكون مضيماً ، ذلك الأمل الذي يحتمل ان يكون خائياً . ، و يحتمل ، - وفي هذا المضمون يقامر كافكا بكل عمله . ولكن لا شيء يحدي ، والبحث عن الابدية هنا دقيق في تفاصيله . وتلك الشخص الارثوذكسية الملهمة ، شعور كافكا ، تقدم لنا صورة دقيقة عما يجب ان نكون عليه اذا كنا محرومين من 'الأمور التي تحول انتباهنا' (١) ، مستسلمين خامساً لهيمنة القدس .

ونجد في د القلعة ، ان ذلك الاستسلام لليومية المادية يصبح اخلاقية . وأمل ك . الكبير هو ان يعمل القلعة تنبأه . ولما كان غير قادر على تحقيق ذلك وحده ، فان جهوده كلها تتجه الى استحقاق هذا المطاء بان يصبح من سكان القرية ، بان يفقد صفة الاجنبي ، تلك الصفة التي يجعله الجميع يشعر بها . انه يريد شيئاً يشغل ، حرفة ، وبيتاً ، وحياة رجل صحيح عادي . انه لا يستطيع ان يحتمل جنونه اكثر مما فعل ، وهو يريد ان يكون معقولاً . انه يريد ان يستعيد اللئنة الخاصة التي تجعله غريباً بالنسبة للقرية . وحادثة فريدا ذات معنى في هذا العدد ، لأنه

(١) يشرح في د القلعة» ان د الأمور التي تحول الانتباه ، بالمعنى الباسكالى تشمل في المساعدين الذين د يحولون انتباه د ك عن قلعه . وك صارت فريدا عشيقه احد المساعدين ، فذلك لانها تفضل مظاهر 'لشرح على الحقيقة ، واطيأة اليومية الاعتيادية على المطالب المشترك .

إذا اتخذ من هذه المرأة التي تعرف واحداً من موظفي القلمة عشيقته له ، فإن ذلك هو بسبب ما فيها . انه يستمد منها شيئاً يفرقه هو - في لوقت الذي يعني فيه ما يجعلها غير جذيرة بالقلمة ، وهذا يجعل المرء يفكر في حب كيركنارد الغريب لريحينا اولزن ، ففني بعض الرجال تكون نار الابدية التي تحرقهم عظيمة عظيمة تكفيهم ليحرقوا فيها قلوب "قرب الناس اليهم" . والخطأ القاتل الذي يتألف من اعطاء الله مسا هو ليس راجعاً لله هو كذلك موضوع هذه الحادثة في والقلمة . ولولا كافكا للاح ان هذا ليس خطأ . انها عقيدة و قفزة " وليس هنالك شيء ليس راجعاً لله .

واعظم مغزى من ذلك ان مساح الاراضي يقطع علاقته بفريدا لكي يذهب الى الشقيقات بارناس . لأن عائلة بارناس هي المائلة الوحيدة في القرية التي تخلت عنها القلمة والقرية نفسها . لقد رفضت اماليا ، الشقيقة الكبرى ، الاغراض المحجبة التي ارادها منها احد موظفي القلمة . وقد طردتها اللمنة اللااخلاقية التي تبعت ذلك نهائياً من حب الله . ان عدم القدرة على فقدان الشرف من اجل الله امر مماثل لجمل المرء نفسه غير جدير بنمته . وانت ترى هنا فكرة مألوفة بالنسبة للفلسفة الوجودية : الحقيقة المماكسة للاخلاق . وهنا تكون الاشياء أبعد مدى . لأن الطريق الذي يتبعه بطل كافكا من فريدا الى الشقيقات بارناس هو الطريق نفسه الذي يؤدي من الثقة بالحب الى تأليه اللاجندوى ، وهنا ايضا يوازي فكر كافكا فكر كيركنارد . ولا يدهشنا ان مسألة بارناس موضوعاً في نهاية الكتاب . ومحاولة مساح الاراضي الاخيرة هي ان يستعيد الله بواسطة

ما ينبغي ، ان عيزه ، ليس بواسطة تصنيفاتنا عن الطبيعة والجمال ، ونا خلف المظاهر الخارجية المعرفة ، مظاهر لا اكثراته ، ولا عدالته ، وكرامته . وذلك الغريب الذي يطالب من القلم ان تتباه هو في نهاية سفرته منتهي اكثر قليلا لانه في هذه المرة غير مخلص لنفسه ، قد تخلى عن الاخلاقية و المناطق . والحقائق العقابية لكي يحاول ان يدخل ، مسلحا بامله الجذورت فقط ، صغراء النعمة المقدسة^(١١) .

* * *

وكلمة « الامل » المستخدمة هنا ليست مضحكة . بالمعكس ، فكلما ازدادت مساهمة الرضعية التي يصفها كافكا ، زاد ثبات وتحرش هذا الامل . وكلما ازدادت لاجدوى ، والمحاكمة ، حقة ، زادت مشروعية واحتماد « القفزة » التي تتجلى في « القلم » . ولكننا نجد هنا ايضا في حالة نقيية تعارض الفكر الوجودي كما يعبر عنه كبر كفارد مثلا : « يجب قتل الامل الارضي » لانه حينذاك فقط يتم انقاذ المرء بالامل الحقيقي^(١٢) ، ويمكننا ان نترجم هذا الى : « يجب على المرء ان يكتب و المحاكمة لكي يسطح و بالقلم » . «

(١) يصبح هذا فقط على النسخة غير المنهية من « القلم » التي خلفها كافكا لنا . ولكننا نشك

في ان الكاتب كان سيمس في القبول 'لاخيرة وحدة النعمة في روايته .

(٢) قفاه القلب .

كان معظم اولئك الذين تحدّثوا عن كافكا قد عرفوا احواله بانها ندام
يأس ، دون ان يكون للانسان ما يمكنه ان يلجأ اليه . ولكن هذا
يستدعي عادة النظر . هنالك أمل وأمل . ويلوح لي نتائج هنري بورديو
التفاوضي غير مشجع بصورة غريبة . ويرجع هذا الى انه ليس فيه نويه
لن يقوم بالتمييز . ومن الناحية الاخرى ، فسان فكر مالرو مشبه
بتمسك دائما . بيد انه في هذين الاتجاهين لا ينتج الامل نفسه ولا اليأس
نفسه شيئا ، وانما ارى فقط ان الامل الاجتماعي نفسه قد يؤدي الى
اللايمان الذي ريد ان نجنسه ، والعمل الذي لم يكن غير تكرار لا
نتيجة له لوضعية عقيمة ، وتعطام واضع لما هو قصير الامر ، يصبح هنا
مهبطا للاوهام . انه يفسر ، وهو يمطي الامل شكلا . ولا يكون في وسع
الخالق بعد ان يفصل نفسه عنه ، انه ليس اللمبة المنصقة بالامانة التي
كان سيكونها . انه يمطي معنى حياة المؤلف .

وعلى اي حال فمن الغريب الاعمال التي تتصف بعلاقة مترابطة في
موسماتها ، كاعمال كافكا وكير كندارد وجيستوف – باختصار ، اعمال
'لرواينين' والملازمة الوجوديين الذين ينظرون باتجاه الاجدوى ونتائجها –
تؤدي ، في المدى البعيد ، الى ذلك النداء الهائل للامل .

انهم يعاقبون الله الذي يستقدم . ولا يدخل الامل الا عبر الطقوس ،
لأن لا جدوى هذا الوجود تؤكد لهم اكثر قليلا من الواقع فوق
الطبيعي . فاذا كان اتجاه هذه الحياة يؤدي الى الله ، فان هنالك حصية
ما . والاستمرار المصير ، والنبات ، الذي يسكر به 'ابطال' كبير كندارد

وجيستوف وكافكا نهجهم الحيائي هو الضمان الخاص للقوة المساعدة التي تتميز بها ذلك اليقين^(١).

ان كافكا ينسك على الاله النبل الاخلاقي والدليل والفضيلة والناسك، ولكن الافضل فقط هو ان يرتقي بين ذراعيه. فقد تمت رؤية اللاجدوى، وقبولها، واستسلم الانسان لها، بيد انه منذ ذلك الحين فصاعداً صرنا نعرف انها لم تعد لا جدوى. فقد حدود الوضعية البشرية، اي أصل هنالك أعظم من أمل الخلاص من تلك الوضعية؟ انني لا ارى مرة اخرى ان الفكر الوجودي، في هذا العدد (بمعنى الرأي السائد) يترك في أمل واسع، انه الأمل نفسه الذي ألحب المالم القديم التناهي انتشار المسيحية والأنباء السارة. ولكن في تلك القفزة التي يتميز بها الفكر الوجودي كله، وفي ذلك الاصرار، في ذلك القياس القدسية لا سطح لها، كيف لا يستطيع المرء ان يرى علامة وضوح يتبرأ من نفسه؟ يتم الادعاء فقط بأن هذا هو الكبرياء التي تتخلى عن نفسها لتتخذ نفسها. ويمكن ان يكون مثل هذا التبرؤ خصباً مشمراً، ولكن هذا لا يغير شيئاً من ذلك. ولا تستطيع القيمة الاخلاقية الموضوع انت تنقلص في نظري بمجرد وصفها بأنها عقيمة ككل كبرياء. لأن الحقيقة أيضاً، يتمريفها نفسه، عقيمة، احقائق كلها عقيمة. وفي العالم الذي يتم فيه اعطاء كل شيء، ولا يفسر فيه شيء، يكون خصب قيمة ما

(١) الشخصية الوحيدة بدون أمل في ذا القلعة، هي إماليه. انها الشخصية التي تتعارض معها شخصية مساح الاراضي بأشد المتف.

أو ميتافيزيك ما مفهومًا خاليًا من المنى .

وعلى أي حال ، فانت ترى هنا في أي تقليد فكري يأخذ تساج كافكا مكانه . وأنه ليكون من اللذاه حقلًا اعتبار الاستمرار الذي يقود والحكمة ، إلى « القلمة » سنيًا . فجوزيف ك ، ومساح الأراضي ك هما في الحقيقة قطبان يتجاذبان كافكا^(١١) . وسأتحدث مثله فأقول ان نتاجه قد لا يكون جديدًا . ولكن ذلك يجب ان لا يمنعنا من رؤية نبه وعمومته . انها يلتفتان من كونه قد نجح في تصوير المر الديومي الاعتادي من الأمل إلى الأسى ومن الحكمة البائسة إلى المعى العقلي . فتناجه عام (والنتاج الالاجدي حقلًا هو غير عام) إلى الحلد الذي يصور به وجه الإنسان المتحرك عاطفيًا وهو عرب من البشرية ، مستمدًا من تناقضاته أسبابًا الالجان ، أسبابًا للأمل من يأسه الخصب ، وسميًا الحياة ندرية القتال على الموت . انه عام لأن وجهه هو ديني . وكما هو الامر في كل الاديان ، يتحرر الإنسان من عبء حياته هو . ولكنني اذا كنت اعرف ذلك ، واذا كان في وسمي ان اعجب به ايضًا ، فاني اعرف ايضًا انني لست ابحث عما هو عام ، وانما عما هو حقيقي . وقد لا يتوافق حدوث الاثنين معًا .

ويمكننا ان نفهم هذه النظرة الخاصة بصورة افضل اذا قللت ان التفكير الذي لا يأمل حقلًا يحدث ان يكون معرفيًا بالمقياس المضاد ، وان

(١) قارن ، بشأن مطوري فكر كافكا ، بين « في مستعمرة الجزاء » التي نشرتها مجلة — كتيب الجنوب — : « الجزيرة (والمهزم — جزيرة الانسان) غير مشكوك فيها قط » ، وبين قطعة في « القلمة » — تقرير موموس : « ان جزيرة مساح الاراضي ك صمية التمييز » .

النتائج الحافلة بالمأساة قد يكون النتاج الذي ، بعد ان يتم نفي كل أصل في المستقبل ، يعصف حياة انسان سعيد . وكلها كانت الحياة مثيرة اكثر ، زادت لا جدوى فكرة فقدانها . ولمسل هذا هو سر الاقفرار الفخور الذي نلسه في نتاج نيتشه . وفي هذا الصدد ، يلوح نيتشه الفنان الوحيد الذي استمد النتائج المتطرفة لجالية الاليجدوى ، بقدر مسا نكن رسالته الأخيرة في وضوح غلاب عقيم ونقي عتيد لاية تمزية فوق طبيعية .

ويجب ان يكون ما ذكرته كافيا لابرار كل اهمية كافكا في اطار هذا البحث . فنحن هنا مسوقون الى حسدود الفكر البشري . وبالمنى الاتم للكلمة ، يمكن القول بان كل شيء في ذلك النتاج اساسي . وعلى اى حال ، نجد انه يمين التأمل في مشكلة الاليجدوى كلها . واذا اراد البرء ان يقارن بين هذه الاستنتاجات وملاحظاتنا الاولى ، والتموى مع الشكل المنى الخفى في « القلمة » مع الفن الطبيعي الذي فصاغ فيه ، وبحت ك المتحسس الفخور مع مظاهر الحياة اليومية الاعتيادية التي يحدث ذلك البحث فيها ، فسيترك ما يمكن ان يكون عظمتها . لانه اذا كان الحنين للماض الكئيب علامة البشرى ، فقله لم يعط احد مثل هذا الجسد والحجية لاشباح الندم هذه . ولكننا سنرى في الوقت نفسه اى نسل استثنائي يدعو اليه النتاج الاليجدي ، ولكنه ربما لا يكون موجودا هنا . فاذا كانت طبيعة الفن هي ان يربط بين المسام والخاص ، بين الابدية والتصيرة لقطرة من الماء وانماكن اضواءها ، فانه ليكون اكثر صحة ان نحكم على عظمة الكاتب الاليجدي بالساقفة التي يستطيع ان يقدمها بين هذين العالمين . فسره يتألف من استماعته ان يجد النقطة المربوطة حيث يتقابلان في اعظم لا تناسبها .

ولسكي نقول الحق ، فان هذا الموضع الهندسي الدقيق للانسان
والايشري يمكن ان يراه في كل مكان نداء القلب . فاذا كان قلوست
ودون كيثوت من الحلولقات الفنية البارزة ، فان هذا يرجع الى النبيل
الذي لا حسد له ، والذي يشير ان اليه بايديها الأرضية . ومع ذلك ، ثاني
 لحظة دائمة ، ينبغي فيها الذهن الحقائق التي تستطيع تلك الايدي ان
تلمسها . ثاني لحظة لا يؤخذ فيها الخلق على انه مأساة ، وانما يؤخذ
ماخذاً جاداً فقط . ثم يتم الانسان بالأمل . ولكن هذا ليس من شؤونه ،
وانما ينحصر اهتمامه في النكوص عن الزيف والأعذار الكاذبة . ومع
ذلك فهذا بالاضبط هو ما أجده في نهاية الاتهامات الشنيعة التي يتقدم بها
كافكا ضد الكونت كله . فحجته التي لا يمكن تصديقها تتمثل في هذا
العالم المموت المطلق الذي نجد فيه الذرات نفسها تجرؤ على الأمل (١١) .

(١) قدمت هذا تفسيراً لنتائج كازكا ، ولكن من العدل فقط ان نضيف انه لا شيء هنالك
يتمنا من مجبه . يعرف النظر عن اي تفسير ، من وجهة نظر جمالية صرفة . فنجد مثلاً ان
ب . غربنويسن في مقدمته المجازة للصحافة « يجدد نفسه ، بحركة الشد مسأ فلانا ، يتتبع
التصورات الأولية لا يسجبه ، تسمية مثيرة . بالحلم في يوقائة . فمخير ذلك النتائج ، وربما عظمته
انه يقدم كل شيء ولا يثبت شيئاً .